الإسلام دين الإنسانية

آنا ماري شِيمّل

تقديم

أ. د. محمود حمدي زقزوق

ترجمة وتعليق

د. صلاح عبدالعزيز محجوب

مراجعة

أ. د. محمود فهمي حجازي



مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١م



تقديـــــم

أ.د / محمود حمدي زقزوق

آنا ماري شيمّل صديقة الإسلام وعاشقة التصوف الإسلامي

لقد تعرفت على الأستاذة آنا ماري شِيمّل في نهاية الستينيات من القرن الماضي من خلال بحوثها الإِسلامية الجادة التي تمتاز بالأمانة العلمية والدقة والموضوعية. أما على المستوى الشخصي فقد تعرفت عليها في منتصف الثمانينيات من القرن الماضي وزرتها أنا وزوجتي في مسكنها في مدينة بون في ألمانيا واستمرَ التواصل معها حتى رحيلها، وفي عام ١٩٨٨م اشتركنا معا في أحد المؤتمرات بجامعة ماربورج بألمانيا، وهي تلك الجامعة التي التحقتُ بها في بداية دراستي في ألمانيا قبل هذا التاريخ بأكثر من ربع قرن، وهي الجامعة ذاتها التي عملت فيها الأستاذة شِيمّل فترة من الزمن بعد تخرجها.

وبعد أن خرجنا سويا من قاعة المؤتمرات متجهين إلى الفندق بعد أن طلبنا تليفونيا سيارة أجرة، طال انتظارنا بعض الشيء؛ نظرا لأن الوقت كان وقت الذروة في حركة المرور فقالت لي بلهجة جادة: «هيا ندعو الله أن يعجل بانفراج في المرور حتى تصل السيارة». فقلت لها: «لا بأس، لنفعل»







ولمحتُ السلسلة التي تتزين بها ويتدلى منها قلادة مكتوب عليها لفظ الجلالة بالعربية، ولعل هذا بالإضافة إلى قرائن أخرى ما دفع البعض إلى القول بأنها اعتنقت الإسلام، وقد يكون هذا صحيحا فيما بينها وبين الله، ولكننا لا نستطيع أن نجزم بشيء في هذا الصدد، فالله وحده هو المطلع على القلوب، وهذا موضوع شخصي يخصها وحدها.

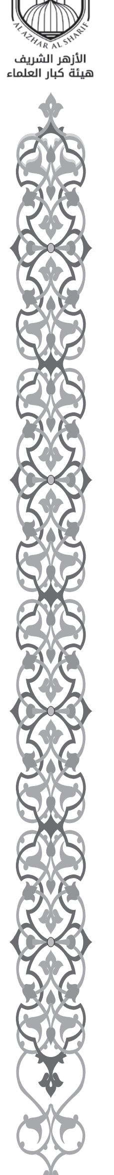
وما يهمنا هنا هو دراستها عن الإسلام، وفيما يلي نقدم للقارئ الكريم نبذة مختصرة عن نشأتها وتطورها العلمي واهتماماتها في مجال الدراسات الإسلامية.

النشأة والتطور العلمي:

تحظى آنا ماري شيمّل (المستشرقة الألمانية) والعالمة المرموقة في مجال الدراسات الإسلامية بصفة عامة وفي التصوف الإسلامي بصفة خاصة باحترام وتقدير عظيمين من جانب المسلمين وغير المسلمين في ألمانيا وخارجها على السواء.

وقد ولدت آنا ماري شيمّل في ٧ / ٤ / ١٩٢٢م، وأثناء دراستها في المرحلة الثانوية بدأت في تعلم اللغة العربية وهي في الخامسة عشرة من عمرها، وبعد حصولها على الشهادة الثانوية درست في جامعة برلين علوم العربية والإسلام وحصلت على الدكتوراه، ثم حصلت على شهادة الأستاذية عام ١٩٤٦م Habilitation ثم حصلت على دكتوراه ثانية في جامعة ماربورج عام ١٩٥١م، وكان موضوع رسالتها (دراسة عن مفهوم الحب في التصوف الإسلامي المبكر) بإشراف أستاذها فريدريش هايلر





Friedrich Heiler، ثم عملت بالتدريس في عدد من الجامعات في ألمانيا وخارجها: في جامعات ماربورج وبون وأنقرة ولاهور، واعتبارا من عام ١٩٦٧م عملت أستاذةً في جامعة هارفارد في الولايات المتحدة الأمريكية، وعملت أيضا أستاذةً زائرةً في عدد من جامعات العالم. وقد بلغ إنتاجها العلمي من الكتب والبحوث المختلفة في الدراسات الإسلامية ما يزيد على المئة، وحصلت على العديد من الأوسمة والجوائز من جهات عديدة، ومن بينها وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى في مصر عام ١٩٩٦م، وقد توفيت في ٢٦ / ١ / ٢٠٠٣م في بون وكتب على قبرها بالعربية والألمانية الأثر الإسلامي المشهور: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا» حسب وصيتها على ما يبدو.

الدراسات الصوفية:

لقد اهتم كثير من المستشرقين بالتصوف الإسلامي الذي جذبهم إلى الغوص في بحاره العميقة والسباحة في تياراته المتلاطمة، وكان التصوف الإسلامي ولا يزال طريق البعض منهم إلى اعتناق الإسلام، وآخر من عرفتهم من هذا الطراز مقدمة ومديرة البرنامج الموسيقي العالمي في أوروبا MTV كرستيانا باكر[١] التي اعتنقت الإسلام منذ حوالي ربع قرن من الزمان، ولعل أحد الأسباب القوية وراء ذلك كان تعرفها على

(١) Kristiane Backer وقد صدر كتابها بالألمانية بعنوان: من MTV إلى مكة، كيف غير الإسلام حياتي؟ في ٣٣٠ صفحة – منشورات: – ULLSTEIN برلين ٢٠٠٩م.



أحد المتصوفين البريطانيين وهو جاي إيتون Gai Eaton الذي توفي منذ بضع سنوات وكان بالنسبة لها بمثابة الأب الروحي.

وتمتاز دراسات (آنا ماري شِيمِّل) للتصوف الإسلامي بالعمق وسعة الاطلاع والسياحة في كثير من البلاد الإسلامية للتعرف على أقطاب التصوف الراحلين وما تركوه من آثار علمية أو غيرها.

وكان من عادة الأستاذة (شِيمِّل) عندما تزور القاهرة، أو أي بلد إسلامي حل فيه متصوفون في القرون الماضية أن تزور أضرحة أولياء الله المعروفين، وفي إحدى المرات بعد أن زارت الأضرحة المعروفة في القاهرة سألتني عما إذا كنت قد زرت هذه الأضرحة؟ وقد كان السؤال محرجا في حقيقة الأمر- لأنه لم يسبق لي أن زرت هذه الأضرحة الكثيرة التي تعنيها -باستثناء- أضرحة الحسين والسيدة زينب والسيدة نفيسة، وأصحاب هذه الأضرحة من آل البيت ولا يطلق عليهم متصوفة، فالتصوف ظاهرة متأخرة.

وفي أثناء عملها في جامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية قامت الأستاذة (شيمل) بتأليف كتاب كبير عن التصوف الإسلامي بالإنجليزية ثم ترجم إلى الألمانية، وقام بترجمته إلى العربية كل من: محمد إسماعيل السيد، ورضا حامد قطب، تحت عنوان: الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف -منشورات الجمل: بغداد وكولونيا ٢٠٠٦م ويشتمل الكتاب على ٥١٩ صفحة.



محنة جائزة السلام:

وعندما رُشحتْ للحصول على جائزة السلام التي يمنحها سنويا المعرض الدولي للكتاب في فرانكفورت -وهو المعرض الأول على مستوى العالم- تعرضت لمحنة (حسب تعبيرها بالعربية) فقد أجرى التليفزيون الألماني معها حوارا بمناسبة ترشحها للجائزة المشار إليها، وقد وجه إليها المذيع سؤالا عن رأيها في حكم الإعدام الذي أفتى به المرشد الأعلى الإيراني الإمام الخميني في حق الكاتب سلمان رشدي مؤلف كتاب (آيات شيطانية) والذي أثار غضب المسلمين في العالم. وكانت إجابة الأستاذة شيمّل على ذلك بقولها: لا شك في أن الحكم بالإعدام على سلمان رشدي شيء فظيع، ولكن الأفظع منه هو (إهانة أمة) تقصد الأمة الإسلامية التي أهانها سلمان رشدي بهذا الكتاب.

وعقب ذلك تعرضت لحملة عنيفة من كل وسائل الإعلام في ألمانيا ومن اتحاد الكتاب والمفكرين[٢]، وطالبت هذه الحملة العنيفة بحجب الجائزة عنها وطالبت رئيس الجمهورية بالامتناع عن تسليمها الجائزة كما هي العادة في كل عام.

ولكنها انتصرت في نهاية الأمر وانقلبت المحنة إلى منحة، وتسلمت الجائزة من رئيس الجمهورية الألمانية على الرغم من هذه الحملة الظالمة التي تعرضت لها.

وهذه الضجة المفتعلة التي أثيرت حولها تدلنا على مدى تحيز الإعلام الألماني بصفة خاصة والإعلام الغربي بصفة عامة ضد كل ما هو إسلامي.

---

(٢) ومن بين هؤلاء الكتاب كُتاب (مسلمون) -للأسف الشديد- من الذين يسيرون في الركاب.





فعلى الرغم من أن آنا ماري شِيمّل لم توافق على حكم الإعدام ضد سلمان رشدي فإن هذا الإعلام لم يتحمل -للأسف الشديد- في مقابل ذلك كلمة منصفة في حق العالم الإسلامي.

* * *

وفي أحد لقاءاتي معها -ولعله كان اللقاء الأخير- سلمتني بطاقة عليها رسمٌ هي صاحبة فكرته وقام بتنفيذه عمران شلنج عام ١٩٩٨م، وهو عبارة عن مندلة **mandala** تتجه فيها كل الخطوط إلى مركز الدائرة الذي يشتمل على لفظ الجلالة. والمندلة في الأصل صورة أو رمز صوفي على شكل دائرة أو شكل متعدد الأضلاع لدى البوذيين كوسيلة مساعدة على التأمل. وقد حولت الأستاذة شيمّل هذا الرمز البوذي إلى صورة إسلامية استوحت فكرتها -كما تقول- من بيت للشعر في إحدى قصائد الصوفي الكبير (جلال الدين الرومي). والرسم يدور حول شهادة (لا إله إلا الله) في ثمانية أضلاع وكل الأضلاع تحمل ألفاظ الشهادة، ويتجه كل منها إلى مركز الدائرة لتلتقي في النهاية في لفظ الجلالة (الله) وخاصة في حرف الهاء الذي يشكل مركزَ الدائرة ويربط كل الأضلاع معا، وبه تستكمل ألفاظ الشهادة لكل ضلع.

وقد كتبت الأستاذة شِيمل تحت الرسم باللغة العربية بخط يدها عبارة (الفقيرة إلى رحمة ربها) ووقّعت بالحرف الأول من اسمها ولقبها[٣] نسأل الله لها الرحمة والمغفرة.

(٣) لقد نشرنا صورة لهذا الرسم المشار إليه في نهاية الجزء الثاني من مذكراتنا (رحلة حياة) مكتبة الإيمان ٢٠١٦م.







هذا الكتاب

أما الكتاب الذي نقدمه اليوم إلى القارئ الكريم فقد كتبته المؤلفة في الأصل ليكون أحد فصول مجلد كبير أصدره أستاذها في جامعة (ماربورج) فريدريش هايلر -أستاذ مقارنة الأديان- عام ١٩٥٩م تحت عنوان (الأديان الإنسانية في الماضي والحاضر) وقد قامت المؤلفة بعد ذلك بمراجعة هذا الفصل مراجعة شاملة وأضافت إليه الكثير وبخاصة في الفصل الأخير الذي يحمل عنوان (التطورات الحديثة في تاريخ الإسلام) ونشرته في كتاب مستقل عام ١٩٩٠م في سلسلة Reclam الشهيرة، وقصدت به أن يكون مدخلا للتعرف على الإسلام، وذلك حسب ما جاء في عنوان الطبعة الأخيرة Der Islam: Eine Einfuehrung.

وقد أحسن الدكتور صلاح عبد العزيز محجوب صنعا باختياره لكتاب الأستاذة شِيمِل عن الإسلام لترجمته إلى العربية حتى يطلع القراء على جانب إيجابي من دراسات المستشرقين. وقد قام الصديق الأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي بمراجعة الترجمة مراجعة دقيقة كالعهد به دائما، فله منا خالص الشكر والتقدير، وللمترجم الدكتور صلاح محجوب جزيل الشكر على الجهد الواضح الذي بذله في الترجمة. وعندما نشرنا هذا الكتاب بالعربية في نهاية التسعينيات من القرن الماضي عن طريق المجلس الأعلى للشئون الإسلامية كان للمؤلفة عتاب علينا لإصدار الكتاب دون استشارتها. ولها كل الحق في هذا العتاب، فربما كانت تريد إضافةً أو حذفًا أو تعديلًا لبعض ما ورد في الكتاب، وقد نبهنا القائمين على النشر إلى ضرورة مراعاة ذلك مستقبلا سواء بالنسبة لها أو لغيرها.





وتخليدا لذكراها وما تمثله من قيمة علمية نادرة نعيد نشر هذا الكتاب، راجين أن يكون في إعادة نشره ما يلفت نظر الباحثين إلى الاهتمام بالجانب المشرق في دراسات المستشرقين بصفة عامة وفي دراسات آنا ماري شيمّل بصفة خاصة.

ونعتقد أن هذا يمكن أن يمهد السبيل لحوار علمي مثمر مع المستشرقين المعتدلين على أساس من الاحترام المتبادل. وهذا الحوار يمكن أن يؤدي بدوره إلى المزيد من التفاهم المشترك، وإلى تصحيح الكثير من المفاهيم الخاطئة والأفكار المغلوطة عن الإسلام، ويزيل الكثير من الأحكام المسبقة على كلا الجانبين.

وفي عام ٢٠٠١م ضعفت صحتها ولم تستطع أن تلبي دعوتنا للمشاركة في مؤتمر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في مايو ٢٠٠٢م.

وفي ٢٦ يناير ٢٠٠٣م رحلت آنا ماري شيمّل عن دنيانا بعد أن تجاوزت الثمانين من عمرها تاركة وراءها تراثا غنيا من الدراسات الإسلامية سيظل دائما شاهدا على نبل المقصد ومحبة الحقيقة وشرف الكلمة والتجرد من الهوى والغرض.

نسأل الله لها الرحمة والرضوان

والله من وراء القصد

أ.د. محمود حمدي زقزوق

عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

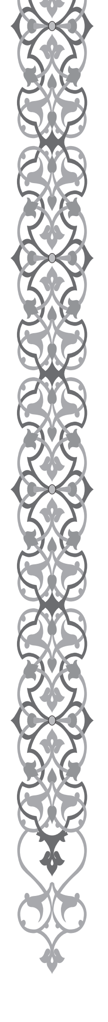
رمضان ١٤٣٨ هـ

يونيه ٢٠١٧م





افتتاحية المؤلفة



يعد كتابنا هذا ثمرة سلسلة من محاضراتنا التي كتبناها عن الإسلام مشاركة منا لكي تُضَم إلى كتاب فريدريش هايلر. (Friedrich Heiler) عن (أديان الإنسانية) بعنوان "Die Religionen der Menschheit" وهو الكتاب الذي نشره كورت جولدأمّر (Kurt Goldammer) ضمن منشورات دار ركلام (Reclam Verlag) في مدينة شتوتجارت بألمانيا في سنة ١٩٨٠م، وقد عدَّلنا محاضراتنا المذكورة وأضفنا إليها خاصة في الجزء الخاص بالتطورات الجديدة في تاريخ الإسلام، كما أضفنا دليلًا يوضح كيفية نطق الأسماء والاصطلاحات العربية الإسلامية علاوة على قائمة بالمراجع الأوروبية عن الإسلام وسجلًا بالأسماء الواردة في الكتاب.

آنا ماري شيمّل
بون في خريف سنة ١٩٨٩م



كلمة المراجع

الاستشـراق الأوروبي له مجالاته المتعددة، من دراسـة آثار مصر القديمة إلى دراسـة اللغات السـامية القديمة إلى دراسـة العالم الإسـلامي إلى دراسـة الحضارة في إيران، إلى الدراسات الهنديـة، إلـى الدراسـات الصينية، إلـى الدراسـات اليابانية، وجهود المستشـرقين المتخصصين في الدراسـات الإسـلامية عرفهـا الباحثون في العالم الإسـلامي، أفـادوا من جوانب منها ورفضوا جوانب أخرى، وكان الحوار مهما. كتب الإمام محمد عبـده فـي الرد على بعضهـا، وظل الحوار قويـا على مدى عدة سـنين، وكانـت الترجمة إلـى العربيـة تعرف القـارئ العربي بالجديد، واليوم نتعرف من خلال ترجمة عربية لعدد من أعمال المستشرقين المتخصصين في الدراسـات الإسلامية ألوانًا من الفكـر، وهـذا عهد جديـد ارتبط فـي حياتنا بجهـود الصديق والمفكر الكبير الأسـتاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقـاف، لقد عـادت إلى أعمالنا حركـة الترجمة في مجالات الدراسـات الإسـلامية، كما يتصدى المجلس الأعلى للشـئون الإسـلامية لإصدار ترجمات لمعاني القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية ولإعداد مطبوعات جادة تعرّف بالإسلام بلغات أجنبية أيضا، وهذا كله جهد متميز على المستوى العالمي.



تتناول الدراسة التي بين أيدينا رؤية موضوعية واضحة الملامح للمستشرقة الألمانية آنا ماري شيمّل عن الإسلام، أسسه ورسالته منذ انتشاره وحتى اليوم، كما اهتمت المؤلفة بموضوعات شتى، من أركان الإسلام إلى العقيدة والشريعة وعلم الكلام والفرق الإسلامية إلى الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي المعاصر، والكتاب مؤلف للقارئ المثقف، وكتب باللغة الألمانية ونشر في سلسلة لها مكانتها وانتشارها، والكاتبة آنا ماري شيمل واحدة من أهم أعلام الاستشراق الألماني المعاصر، وهي من المستشرقات العارفات بالإسلام وحضارته، ولها مكانتها في العالم الإسلامي وفي الجامعات الأوروبية وفي الولايات المتحدة وكندا.

وتعتبر الترجمة العربية التي نقدمها اليوم لدراسة آنا ماري شيمل أول ترجمة عربية لأعمال هذه الأستاذة الألمانية، ويحدونا الأمل في تقديم ترجمات عربية أخرى لمؤلفاتها الألمانية والتي تخدم الإسلام والمسلمين.

إن متابعتنا لما يكتب في الغرب عن الإسلام تقوم على احترام الجهود الجادة في إطار لقاء الحضارات مثل جهود آنا ماري شيمل؛ وعلى تجنب دعاة الصدام وإثارة الجماهير من أصحاب الكتابات الصحفية العابرة وما يماثلها من الكتب المتسرعة،



إن الإسلام يدعونا إلى التعاون مصداقا لقوله -تعالى- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ (الحجرات : ١٣) .

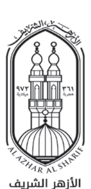
وعندما نهضت الحضارة الإسلامية كانت تتعرف جهود الآخرين وتستوعبها وتضيف إليها ، وترد على الفكرة بالفكرة وعلى الرأي بالرأي. ونحن اليوم في مرحلة جديدة سمتها الأساسية المنشودة لقاء الحضارات .

والله ولي التوفيق ،

أ. د. محمود فهمي حجازي

٢٠٠٠/٧/٢٧م









كلمة المترجم

تندرج الدراسة الحالية في إطار اهتمام المستشرقين والمستعربين بدراسة الإسلام بعيدا عن وجهات نظر أشاعها باحثون غربيون متحيزون، ويؤرخ هذا الكتاب لبداية اهتمام الباحثين الغربيين الفعلي بدراسة الإسلام وحضارته على أساس علمي منهجي.

وتأتي الدراسة الحالية متكاملة الرؤى بحيث تناقش كل ما يتعلق بالإسلام دينا ودولة، فهي تبدأ بالحديث عن نشأة الإسلام وانتشاره وتعاليم الدين الإسلامي الحنيف ومصادرها في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، كما تقدم رؤية صادقة عن الجوانب الإنسانية في الشريعة الإسلامية، وتستعرض بشكل إجمالي لا يهمل التفاصيل تاريخ الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام ونشأة الفرق، ثم تبحر بنا في عالم التصوف لنتعرف على رجالاته وتصوراتهم الإنسانية، وتنتهي الدراسة إلى وصف العالم الإسلامي المعاصر.

وسبب رغبتنا في نقل تلك الدراسة من الألمانية إلى العربية أن المؤلفة تبنت فيها رؤية بحثية موضوعية عن الإسلام والمسلمين، وقد اعتمدنا في ترجمتنا على الطبعة الحديثة المنقحة لهذه الدراسة والتي صدرت في سنة ١٩٩٧م عن دار نشر Reclam بمدينة شتوتجارت.

وقد رأينا أن ننقل الاصطلاحات وأسماء الأعلام المعربة في





النص الأصلي بصورتها في العربية بحيث تأتي الاصطلاحات في الترجمة واضحة وبلسان عربي مبين، وأَرَّخنا للأعلام الإِسلامية بالتاريخ الهجري وللإِعلام الأجنبية بالتاريخ الميلادي، وكان رجوعنا إلى الأصول المنقول عنها في النص الألماني فيه كل العون الذي يسر لنا فهم النصوص والتعبير عنها على نحو مرضٍ، ثم ألحقنا كشافا للإِعلام الواردة في الكتاب في نهاية الترجمة أرخنا فيه للأعلام وذكرنا أرقام الصفحات التي وردت فيها في النص الأصلي ليكون ذلك عونا للقارئ.

أما المؤلفة آنا ماري شيمل فهي مستشرقة تتسم برؤية موضوعية ومنهجية نجدها في كتابات بعض المستشرقين الألمان وتغيب في مؤلفات كثير منهم، وقد ألفت دراسات كثيرة مهمة يرجع إليها كثير من الباحثين ويعرفها ملايين القراء باللغتين الألمانية والإِنجليزية، ومن أحدث دراساتها محاضرتها عن الصوفية التي ألقتها في جامعة ستانفورد ١٩٩٧م بالولايات المتحدة الأمريكية وهي (عن الصوفية وأثرها في أوروبا)، وقد طبعت بعنوان:

"Sufism and its Influence on Europe, Stanford 1997"

ومن أهم كتاباتها دراسة عن الأفكار الدينية لمحمد إقبال:

"A Study into The religious ideas of Sir Muhammad Iqbal, Leiden 1963"





ولها دراسة عن الأبعاد الصوفية في العالم الإسلامي :

"Mystische Dimensionen des Islam, Köln 1986"

ولها أيضا دراسة عن جلال الدين الرومي :

"The Triumphal Sun; A Study of Mowlana Jalaloddin Rumi's Work, London 1977"

واهتمت أيضا بدراسة تحسين الخطوط في إطار الحضارة الإسلامية :

"Calligraphy and Islamic Culture, New York 1984"

وكتبت أيضا عن محمد رسول الله ﷺ :

"Und Muhammad ist sein Prophet, Düsseldorf 1981"

وألفت عن مفهوم الإرادة الإلهية :

"Dein Wille geschehe, Dar us-Salam, Österreich"

وقد نالت آنا ماري شيمل جائزة السلام عن دور النشر الألمانية وقد تسلمتها من الرئيس الألماني السابق (**Roman Herzog**) رومان هرتسوج في ١٥ أكتوبر ١٩٩٥م، كما كرمتها جمهورية مصر العربية ووزارة الأوقاف المصرية عن مؤلفاتها الموضوعية عن الإسلام والحضارة الإسلامية.





ومما أعاننا على الانتهاء من الترجمة وتقديمها للقراء في صورتها الحالية أننا حظينا بعون وتوجيه صادقين من العالمين الجليلين الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق المفكر الإسلامي وأستاذ الفلسفة الإسلامية ووزير الأوقاف، والأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي أستاذ اللغويات بكلية الآداب جامعة القاهرة ومدير مركز اللغة العربية بجامعة القاهرة، ونحن مدينون لهما بالشكر الجزيل ويحدونا الأمل في أعمال مشتركة أخرى تخدم قضايانا الفكرية وأمتنا الإسلامية وتثري مكتبتنا العربية.

والحمد لله من قبل ومن بعد،،

د. صلاح عبد العزيز محجوب إدريس

القاهرة ٢٨/٧/٢٠٠٠ م

الفصل الأول

الإسلام في أبحاث الأوروبيين
منذ القرن السابع عشر الميلادي



الإِسلام هو الدين الوحيد من بين الأديان التي دخلت مع المسيحية في جدال طويل وكثيرا ما تعرض للهجوم، وقد نشأ هذا كله من عدم الفهم الصحيح له. وقد بدأت (في أوروبا) أسطورة تهديد المسلمين لعالم الغرب الأوروبي منذ قرابة الألف سنة، أما السبب الذي أشاع هذه الأسطورة فقد كان دخول العرب المسلمين إسبانيا في القرن الثامن الميلادي، ثم حصار الترك لأسوار فيينا آخر الأمر في سنة ١٦٨٣ ميلادية. وقد نشأت من تلك الأحداث تصورات مغلوطة عن الإِسلام والمسلمين باعتبارهم العدو التقليدي للمسيحية في أوروبا، ونظرا لأن الإِسلام هو الدين العالمي الوحيد الذي ظهر بعد المسيحية، فقد اعتبره المجادلون البيزنطيون غالبًا إحدى البدع التي انشقت عن عباءة المسيحية منذ البداية وحتى عصر أدولف هرناك Adolf von Harnack (١٨٥١-١٩٣٠م).

وتُظهر التصورات الأوروبية المغلوطة عن الإِسلام وعن محمد ﷺ في العصر الوسيط مثلَ تلك الاتهامات الباطلة. واستمرت حملات تشويه الإِسلام في العقلية الأوروبية، ونشأ عنها بعض الآراء المغلوطة التي تصور اعتقادا مغلوطا أن المسلمين يعبدون محمدًا ﷺ، وأن المسلم يتحدث إلى تمثاله الذهني قبل الصلاة، وقد ظلت التصورات الأوروبية المغلوطة عن تلك الصور الذهنية ماثلة في الشعر الأوروبي



حتى العصر الرومانسي. أما التصورات الأوروبية التي رأت في الإسلام ديانة تنبذ تقديس الصور وأن هذه النواهي نشأت عن شخصية الرسول ﷺ الإنسان وليس عن النبوة، فإنه تعبير عن افتقار الأوروبيين للمعرفة الصحيحة باللغة العربية. فقد بدأت أوروبا الاهتمام باللغة العربية باعتبارها لغة الإسلام في البداية منذ العصر الوسيط المتأخر، ومنذ ذلك الحين بدأ رجال الدين المسيحي في دراسة العربية باعتبارها لغة أجنبية وكانوا يفهمونها عندما كانت إسبانيا إسلامية. وفي سنة **١١٤٣** ميلادية انتهى روبرتوس كتننسيس **Robertus Ketenensis** من إعداد أول ترجمة لاتينية لمعاني القرآن الكريم، وقد طبعت تلك الترجمة بعد **٤٠٠** سنة بواسطة بيبلياندر (**Bibliander**) في بازل بسويسرا. وقد نشأت عن تلك الطبعة اللاتينية ثلاث ترجمات أخرى هي الترجمة الإيطالية والترجمة الألمانية في سنة **١٦١٦**م التي أعدها سالمون شفيجر (**Salomon Schweiger**) ثم أخيرًا الترجمة الهولندية. وقد شرع الأوربيون منذ ذلك الحين في الاهتمام باللغة العربية بدون أهداف تنصيرية أحيانًا.

وبالرغم من تنامي المعرفة الأوروبية الجيدة بتاريخ العرب وتاريخ العربية، إلا أن عددًا من الكتابات الجدلية المناهضة للإسلام قد صدرت في القرنين السادس عشر والسابع عشر



بتأثير ازدياد الخوف الأوروبي من التوسع التركي الإقليمي ناهيك عن انتشار ذلك النوع من الكتابات آنذاك نظرا لأسلوبه السجعي المحبب. وأعقب ذلك مرحلة جديدة حيث ظهرت صياغة أوروبية جديدة للإسلام. فقد وصف هنري دي بولانفيه Henri de Boulainvilliers (١٦٥٨ - ١٧٢٢م) الرسول ﷺ لأول مرة بأنه داع إلى ديانة منطقية يقبلها العقل. وقد اصطبغت تلك المرحلة بالميل السابق نحو التعقل وقبول الإسلام وهذا ما سمح لهرمان صامويل رايماروس (Hermann Smuel Reimarus) (١٦٩٤ - ١٧٦٨م) بالقول «إنني على يقين أن البعض يلومون ديانة الأتراك، فإذا قرءوا القرآن الكريم قليلا سيعترفون بأنه كلام صحيح ومفهوم»، وقد كان الرأي السائد في القرن الثامن عشر هو الرأي الموضوعي غير المتحيز السابق، على أثر الترجمة الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم التي أتمها جورج سيل Georg Sale (١٦٨١ - ١٧٣٦م) في سنة ١٧٣٤م. وقد استفاد جوهان فلفجانج فون جوته (١٧٤٩ - ١٨٣٢م) من الترجمة الألمانية لمعاني القرآن الكريم والتي انتهى منها دافيد فريدريش ميجرلينس (David Friedrich Megerlins) في سنة ١٧٧٢م، وبعد عام واحد ظهرت ترجمة فريدريش إبرهارد بويسنس (Friedrich Eberhar Boysens). وكتب يوهان يعقوب رايسكه Jacob Reiske Johann (١٧١٦ - ١٧٧٤م) عن شهداء الأدب العربي وأدخل التاريخ الإسلامي



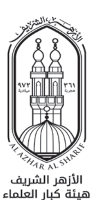


في بنية تاريخ العالم. وهكذا فإننا نستطيع القول إن المرحلة الكلاسيكية والتي اتسمت بجدال عالم الغرب مع الإسلام قد انتهت بالفعل مع عصر جوته وكتابه «ملاحظات على الديوان الغربي - الشرقي، والذي وصف فيه عالم الإسلام في أنماطه الفارسية والعربية والإسلامية. وينتمي جوته إلى نهاية مرحلة تزايدت فيها انتقادات اللاهوت المسيحي والسياسة ضد الشرق الإسلامي في تحد صارخ موضحا أثر الحضارة الإسلامية في ازدهار ثقافات الغرب. بالرغم أننا نلمس ملامح الأثر الإسلامي بوضوح في علوم الأدب والموسيقى في إسبانيا في العصر الوسيط. فقد أثْرَت علومُ الطبيعة عند المسلمين أوروبا بمصادر علمية ثمينة لا تقدر بثمن. كما نلمس التأثيرات العربية في فنون القصة بوضوح في آداب المرحلة الرومانسية وأشعار العصور الوسطى. كما جلبت الحملات الصليبية سلعا شرقية كثيرة جميلة إلى الغرب بالإضافة إلى عدد كبير من الكلمات التي دخلت في الاستعمال الأوروبي مثل كلمة Damsat (دمقس) بمعنى الحرير، وكلمة Baldachin بمعنى المظلة، وغيرها من الكلمات ذات الأصول العربية، وقد اعتاد الرحالة الأوروبيون إرسال تقاريرهم عن الفخامة والثروة في البلدان الإسلامية إبان ترحالهم في الإمبراطورية العثمانية وإيران والهند. وهذا ما حدث مع البعثة الاستكشافية لمقاطعة شليزفيج هولشتاين (Schleswig-Holstein) في شمال شرق



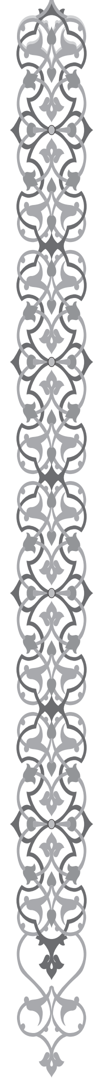


ألمانيا، وقد توجهت البعثة إلى إيران في سنة ١٦٣٩م ومن ثم صارت مؤلفات الأدب الفارسي معروفة في ألمانيا. وكتب باول فليمنج (Paul Fleming) يقول: «لقد جلبنا فارس إلى مقاطعة هولسشتاين». وبالرغم من المشاعر المعادية لمآسي الأتراك المخيفة والتي عبر عنها دانيال كاسبر (Daniel casper)، لم ير الغربيون في الشرق إقليما مناهضا فحسب، بل رأوا فيه أيضا أرض العجائب التي نشأت فيها قصص ألف ليلة وليلة، وهي القصص التي نقلت للفرنسية لأول مرة في بداية القرن الثامن عشر وصارت من بعد بمثابة الإلهام للموسيقيين والرسامين الأوربيين. ومع نهاية القرن الثامن عشر صارت بعض مؤلفات الآداب الشرقية الكلاسيكية معروفة في أوروبا. وبفضل الترجمات الألمانية ليوسف فون هامر برجشتال Joseph von Hammer-Purgstalls (١٧٧٤ - ١٨٥٦م) أصبح عدد كبير من المؤلفات العربية والفارسية والتركية معروفا للألمان، وتأتي في المقدمة ترجمته الكاملة لديوان حافظ شيرازي في عامي ١٨١٢ - ١٨١٣م وهو الديوان الذي أصبح مصدر الإلهام لجوته عند تأليفه الديوان الغربي الشرقي. أما فريدريش روكرت Friedrich Ruckert (١٧٨٨ - ١٨٦٦م) فهو كالحظ الحسن بالنسبة للألمانية على الأقل، إذ اجتمعت في شخصه بنية المستشرق الكلاسيكي والشاعر أيضا، وبذلك نقل إلى الألمانية كنوز التراث العربي والفارسي والهندي. ومن



ثم بدأت بعد روكرت مرحلة الانقسام في استيعاب الآداب الأجنبية ومناهج البحث العلمي الصادق. ونستطيع اعتبار القرن التاسع عشر البداية الحقيقية لدراسات الاستشراق والدراسات الإسلامية. فقد حاول جوتهولد فيل Gotthold Weil (١٨٠٨ - ١٨٨٩م) في سنة ١٨٤٣م عرض حياة النبي محمد ﷺ بعد استبعاد الروايات المتأخرة. وقد أظهر كل من وليم موير William Muir (١٨١٩-١٩٠٥م) وألويس شبرنجر Aloys Sprenger (١٨١٣-١٨٩٣م) ومرجليوث D. S. Margoliouth (١٨٥٨-١٩٤٠م) ميولا قويّا نحو تشوية شخصية الرسول ﷺ، وقد وصفوه في أحسن الأحوال بأنه مصلح اجتماعي وليس نبي الإسلام أو رسول الله. وبعد أن شرع أغناطيوس جولدتسيهر Ignaz Goldzieher في الدراسة الأساسية عن تطور علم الحديث وتمييز المصادر بذكاء ودراسة ذلك بوصفه تطورا في داخل الإطار الإسلامي، فقد ظهرت في الأفق إمكانية جديدة لفهم التراث الإسلامي فهما أمينًا موضوعيا. وقد ساهمت دراسات إجناس جولدتسيهر وكرستيان سنوك هرجرونيه Christian Snouck-Hurgronjes (١٨٥٧-١٩٣٦م) في تأسيس الدراسات الإسلامية في الجامعات الأوروبية، وحاولت من خلال اختلاط التقاليد النقلية وتضارب الآراء البحثية تكوين صورة عن الرسول ﷺ والدعوة إلى الإسلام. وهنا تصدق مقولة كارل هينريش بيكر





"Carl Heinrich Becker" نحن نعرف الكثير عن حياة الرسـول ﷺ لكي ننعته بالمثالية أما معلوماتنا عن بيئته فهي قليلة لكي نتمكن من فهمه بأمانة. وكثيرا ما كانت آراء المستشرقين في القرن التاسع عشـر موضوع نقد في الدراسات الحديثة بشكل متكرر، ونخص بالذكر دراسـات إدوارد سـعيد Edward Said، شـأنه شـأن كثير من الباحثين من الشـرق الأوسـط والإنجليز والفرنسـيين. فقـد رأى إدوارد سـعيد فـي الاستشـراق خدمة لمصالح الإمبريالية والاستعمار. وفي السنوات الأخيرة ظهرت العديـد مـن الأبحـاث والمؤلفات التـي تحلى فيهـا الباحثون والمؤلفـون بتعاطـف ظاهـر مع الإسـلام وخاصة مـع الصوفية الإسـلامية، وقد شـجع تعاطف الفاتيكان مع الإسلام على هذه الخطوة. إلا أننا لا نغفل أهمية دراسة التاريخ الإسلامي المبكر على أسـس نقدية مختلفة كما فعلت باتريشيا كروز (Patricia Crones) فـي كتابهـا عن الإسـلام بعنـوان Hagrarism والذي صدر في سنة ١٩٧٧م. ودراستنا في كتابنا هذا تقوم على الرأي الشائع في التراث عن التاريخ الإسلامي.

الفصل الثاني

الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام



منـذ ما قبل الإِسـلام كانت بـلاد العرب الجنوبيـة معروفة بغناهـا الكبيـر . وقد ولد محمد بن عبـد الله ﷺ في هذه البيئة في سنة ٥٧٠ ميلادية تقريبًا .

وظهرت في تلك الفترة التأثيرات اليهودية والمسـيحية في الحيـاة الدينية للعرب إلى جانب الشـرك المتمثل في عبادات الأوثـان العربيـة . وكان إقليـم الجزيرة العربيـة بدائيا إلى حد ما ، وسـاد تقديس الأشـجار والأحجار والكهوف ، وكانت مكة مركز عبادة الأصنام المألوفة لدى الشـعوب العربية السـامية ، وكان الحجر الأسود في الجانب الجنوبي للكعبة له قداسته في أوقات الحج قبل الإِسـلام . وقد صارت مكة مركزا تجاريا هاما وغنيا بفضل مواسم الحج فيها .

وكانت مكة ملتقى ممثلي القبائل العربية سـنويا في أشـهر الحـج حيث حـرِّم القتال فيهـا . وقد اعتاد العـرب على ارتداء ملابـس خاصـة يلفونها حـول أجسـامهم أثنـاء طوافهم حول الكعبة . وقد كانت حياة العرب في ذلك الوقت تخلو من الأفكار الدينيـة العميقـة ، وعلى ذلـك فقد وصفت في الإِسـلام بحياة (الجاهليـة) ، وقـد تغنى الأدب العربي آنـذاك بفضائل البداوة مثل الشـجاعة وكرم الضيافة بلا حدود والثأر (القصاص) ، أما المشـاعر الجنسـية فقد تراجعت أمام تلـك الفضائل . وتغنت النسـاء بأشـعار الرثاء علـى القتلـى ، وكانت أسـجاع الكهان



مصقولة في قوالب السجع. ونمت العربية وازدهرت ثقافيا في شكل اللغة الشعرية الفصيحة وهكذا كانت الحال بالنسبة للغات السامية الأخرى. وامتازت العربية بثراء لفظي وهو معين لا ينضب. ربطها بدقة وإيجاز في التركيب النحوي، وقد كانت بعض الأوزان الشعرية معروفة آنذاك.

ونستطيع القول إن كمال الشعر العربي قبل الإسلام هو على نحو من الثراء لا يمكن الوصول إليه مرة أخرى، وربما كان ثراء اللغة العربية على هذا النحو عاملا فتح للغة في إطار الإسلام آفاقا واسعة بلا حدود، ونهلت من معين اللغة القديم. وقد ورد ذكر الرهبان الجوالة في الشعر العربي القديم، وربما يعني ذلك أن ملامح التأثيرات المسيحية لم تكن مجهولة للعرب تماما. وكان إقليم بلاد العرب يقع بين روما الشرقية وبين فارس، وربما يسّر هذا الموقع الجغرافي من التواصل المعرفي بين العرب وبين غيرهم وربما كان الاتصال بالنصارى اليعاقبة والنساطرة من الأمور الممكنة آنذاك، إلا أننا لا نرجح وجود جاليات نصرانية منعزلة عاشت بين العرب. وقد أقامت بعض الجماعات اليهودية بالقرب من المدينة أيضا.

وقد دخل ملوك سبأ في جنوب الجزيرة العربية في اليهودية نحو سنة ٥٠٠ ميلادية. وقد كان بعض العرب على خلاف مع ديانة رءوس القبائل، وبحثوا عن أشكال سامية أخرى






للإِيمـان الديني، ووصفهم العرب بكلمـة (حنفاء). وقد كان إيمانهم يدور حول الاعتقاد في إله أعلى للكون وهو اللّٰه، وكان المصطلح (حنفاء) شـائعا أيضا بيـن غيرهم من العرب وربما تعمق إيمانهم بتأثير التواصل مع اليهود والنصارى. وربما كان مصيـر الجزيرة العربية التحول إلى المسـيحية في نهاية القرن السـادس وبداية القرن السـابع الميلاديين(٤) مالم يشـرق نور الإِسلام على جزيرة العرب.



(٤) هـذا الرأي نجده مبالغة مـن المؤلفة، وانظر الموضـوع في: جواد علي، تاريخ العرب قبل الإِسلام، الجزء الأول - القسم السياسي، بغداد ١٩٥٠، ص ١٧٥، على سبيل المثال.



الفصل الثالث

محمد رسول الله ﷺ



ولد الرسول محمد ﷺ في حوالى سنة ٥٧٠ ميلادية في مكة، وكان من بني هاشم وهي إحدى بطون قريش. وقد فقد محمد أباه وأمه وهو ما يزال صغيرًا فنشأ في كنف عمه أبي طالب. وقد اشتغل محمد بالتجارة مثله في ذلك مثل سائر بني قومه، ثم تزوج محمد من السيدة خديجة التي تعهد تجارتها، وقد ولدت له أربع بنات وولدين. والحقيقة أن المعارضات المعتادة على تعدد زوجات النبي تنفيها حقيقة أن الرسول الكريم ﷺ لم يتزوج من امرأة أخرى والسيدة خديجة -رضي الله عنها- على قيد الحياة. وعندما بلغ محمد سن الأربعين وكان قد اعتاد التردد غالبا على مغارة في جبل حراء، فقد نزل الوحي عليه وأدرك محمد أن الله يوجهه نحو غاية سامية. وقد وردت الغاية الإلهية في سورة العلق كالتالي: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴾ (العلق: ١، ٢).

وقد وقفت السيدة خديجة إلى جانب زوجها في أثناء تلقيه الوحي وساندته. أما علامات قيام الساعة فترد في سور قصيرة، أسلوبها السجع القرآني البليغ، ومن تلك العلامات أن يحدث دوي قبل ساعة الحساب ويعقبه زلازل، وتمتلئ قلوب البشر رعبًا، ثم يعرض البشر على رب السماء. وتحدث كوارث طبيعية قبل ساعة الحساب، حيث تحدث زلازل وتندلع نيران وتظلم الشمس تماما. وتتمثل تلك العلامات بوضوح في قوله -تعالى-: ﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ٧ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ

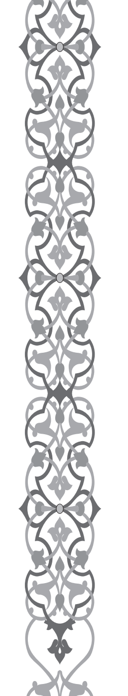


سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾ (التكوير: ١-١٤).

وفي هذه الساعة ينفخ الملاك إسرافيل في البوق، ويبعث الموتى من القبور، ويتساءلون في اضطراب عن مصيرهم، وعليهم أن يجتازوا الامتحان. كما ورد في قوله -تعالى-:

﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴾ (القيامة: ١-١١)

ويصل القرآن الكريم بمشاهد العذاب في الجحيم إلى درجة محددة وليس مثل التصورات الغيبية المسيحية اللانهائية عن العذاب، وهي تتمثل في أنواع عدة من العذاب مثل لهيب النيران والماء الساخن الآسن إلى غير ذلك، والرسول ﷺ ليس نذيرا فحسب بل يدعو أيضا إلى التقوى التي أمر الله بها عباده فهي أحب إليه من تعذيب البشر. وقد بشر الرسول ﷺ المؤمنين بجنة يتذوق أهلها اللبن والعسل رطبا، وتفوح فيها روائح البساتين وشذاها، ويحيا فيها الصالحون في صورة الشباب والفتوة. والجنة تتسع للنساء والأطفال أيضا. وتَنْتَقِدُ مؤلفات الجدل المسيحية مشاهد الجنة التي تعرضها آيات القرآن الكريم لأنها لا تشبه مواعظ الكنيسة الشرقية عن الفردوس. ولم يؤمن كثير من التجار العرب من ذوي التفكير







العلمي بما ورد في القرآن الكريم عن البعث والنشور. ولذا فقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تدعو إلى الإيمان بقدرة الله على بعث الإنسان، وهي أحيانا تشرح كيف خلق الله العالم من العدم وأن هذا من قدرة الله فهو على كل شيء قدير، وأنه قادر على أن يحيي العظام وهي رميم، وذلك مثل الآيات التي تشير إلى أنه يحيي الأرض القفر بالماء وهي إشارة إلى قدرته -سبحانه وتعالى- على بعث الإنسان من جديد بعد الموت، كما في قوله -تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴾ (الحج: ٥).

والآيات التي تذكر بعقاب الله للأمم القديمة السابقة، كثيرا ما تمثل إشارات دالة على القدرة الإلهية وأن الله سيحاسب البشر في يوم القيامة. وهذه الإشارات كثيرة في السور المكية والتي تتناول في بعضها حياة الأمم القديمة الذين كفروا بدعوات أنبيائهم واضطهدوهم لذا حق عليهم العذاب. ويتعلق بمشاهد الخلق والحساب ضرورة الاعتقاد بإله واحد وهو الله الذي يحاسب البشر وحده كما خلقهم وحده بقدرته، ولذا كثيرا ما يرد النهي عن الاعتقاد في آلهة أخرى غير الله في تلك



الآيات. هذا ما تشرحه سورة الإخلاص كالتالي: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ (الإخلاص: ١-٤).

وتعتبر هذه السورة، معارضة واضحة للتصورات العربية الوثنية القائلة بأن الملائكة هم بنات الله. وواجب الإنسان كما نفهم من القرآن الكريم أن يسلم لله بكامل قلبه وروحه وجوارحه، فهو القدير والرحيم والرحمن كما نرى في البسملة في بداية كل سورة، وكما يستفتح المسلم قبل القيام بأي عمل.

إن الكلمة (إسلام) تعنى الاستسلام تمامًا إلى إرادة الله ومن يُظْهِرُ هذا الإسلام يسمى مسلما، أما التسمية محمدي والتي ترد أحيانا في كتابات الأوروبيين باعتبارها وصفا لأتباع شريعة الرسول ﷺ، فلا يحبذها المؤمنون بالإسلام لأنه وصف غير صحيح، وضع قياسا على تصور آخر يتمثل في التسمية مسيحي. أما في التصورات الصوفية المتأخرة فقد يتكرر ذِكر التسمية (محمدي) وصفًا للمؤمن أو المتصوف خاصة وهي تسمية يرى الصوفيون فيها تعبيرا صادقًا عن انتمائهم ووفائهم للرسول ﷺ باعتباره المثل الأعلى لهم. والمسلم -الذي يؤمن بالله الواحد الديان خالق الكون- يعرف تمامًا أن مسئوليته هي الإيمان بالكتب السماوية كلها: التوراة والإنجيل والمزامير



والقرآن الكريم[٥]. وكذلك الإيمان بكل الأنبياء منذ آدم وموسى وعيسى وسائر المرسلين وانتهاء بالرسول ﷺ، وكذلك كل الملائكة ويوم الحساب. ويشعر المؤمن في كل مشاهداته اليومية بوجود الله، وهنا تمثل فروض العبادة واجبات عليه الوفاء بها لأنها أوامر إلهية مثل الصلاة والزكاة وترتبطان ببعضهما البعض. أما الذين هم غارقون في ثرواتهم ويقعدون عن الوفاء بواجباتهم الدينية والفروض الإلهية فسوف يحاسبون ويلقون عقابهم كما نفهم من الوعيد والإنذار الوارد في القرآن الكريم. وقد أحس النبي ﷺ بضرورة تنبيه وتحذير العرب خاصة وأنه أرسل فيهم، كما أنذر الأنبياء الأمم من قبله.

إن جماعة صغيرة من أتباع الرسول وكان معظمهم من الفقراء، قد التفوا حول دعوته ﷺ في بداية الأمر. وقد ارتحل بعضهم إلى الحبشة المسيحية هربا من الاضطهاد. وقد ساءت الأحوال في مكة بعدما فقد الرسول ﷺ زوجته خديجة وعمه أبا طالب ومعينه على أذى بني قومه في سنة ٦١٩ ميلادية. ثم لاحت في الأفق إمكانية جديدة في سنة ٦٢١ ميلادية، حيث أقبل وفد من آل يثرب على الرسول ﷺ ممن استجابوا إلى دعوته وكانوا بذلك نعم العون له، ثم هاجر هو إليهم في العام التالي. وبعدما هاجر الرسول إلى يثرب اتخذت يثرب اسمًا

---

(٥) انظر عن إيمان المسلم بكتب الله ورسله وملائكته في سورة البقرة الآية ٢٨٥: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ (المترجم).





جديدًا، وصارت المدينة أي مدينة الرسول.

ويبدأ المسلمون في تأريخهم من عام الهجرة إلى المدينة، حيث إن تلك الفترة شهدت تحقيق أفكار وأهداف الرسالة الأساسية. وقد شعر الرسول ﷺ حتى ذلك الوقت بأنه مكمل للرسالات السماوية السابقة اليهودية والمسيحية، وكان يخطب في أتباعه عن التوحيد الإلهي كما في اليهودية والمسيحية. وترد في القرآن الكريم قصص الأنبياء والتي نجد لها ذكرا في الكتاب المقدس عند اليهود والمسيحيين. وعلى سبيل المثال وردت قصة يوسف -عليه السلام- في سورة يوسف، وهي من أجمل القصص القرآني والتي تصف أحداث القصة بالتفصيل بدون ذكر اسم امرأة العزيز، وصارت هذه القصة بعد ذلك مصدر إلهام كبير للشعراء المسلمين الذين استوحوها في أشعارهم. وقد رفض اليهود الإيجاز والتركيز في القصص والوقائع التي وردت في القرآن الكريم. وقد أدرك الرسول ﷺ من رفضهم ما قام به اليهود من تحريف طوال تاريخهم. وكان موقف الرسول ﷺ هذا انعكاسًا لما يتلقاه من الوحي الإلهي. وما تلقاه الرسول ﷺ هو الوحي والدعوة التي ورثها إسماعيل من إبراهيم -عليهما السلام-، وهما مؤسسا بيت الله الحرام في مكة. وقد كان الحنيفية في البداية هي الرسالة السماوية ضد عبادة الأجرام السماوية (النجوم والكواكب)، وقد حرفها اليهود والنصارى ثم أتت مرة أخرى في صورتها الصحيحة عن طريق الإسلام. واستتبع هذا الوحي الإلهي أن تحولت القبلة إلى الكعبة الشريفة، وكان المسلمون







يتوجهون في الصلاة إلى بيت المقدس في فلسطين حتى ذلك الوقت. وقد عاد الرسول ﷺ بعد ثماني سنوات إلى مكة من جديد وكان ذلك نصرا كبيرا له. ووقعت خلال الفترة السابقة بعض الحروب انتصر فيها نفر قليل من المؤمنين على آل مكة في غزوة بدر. واستقبلت مكة ابنها البار بفرحة كبيرة وحل السلام في ربوعها. وبعد أن حج الرسول ﷺ حجة الوداع توفاه الله وهو في كنف زوجته عائشة في سنة ٦٣٢ ميلادية تقريبا، وقد اختار الرسول ﷺ أبا بكر حميمه ليخلفه في تدبير شئون المسلمين. ويتواصل نزول الوحي على الرسول في سني حياته الأخيرة ويتناول فكرة الخلاص الإنساني من بين موضوعاته، ويستمر التذكير بالصلة الوثيقة بين الأمور الدنيوية والدينية، والإنسان في الإسلام يقف مباشرة في علاقة مع الله بدون واسطة، فالإسلام يخلو تماما من طائفة الرهبان والقساوسة والتي تمثل الواسطة والرابطة بين الإنسان وبين الرب[٦].

* * *

(٦) انظر عن الموضوع سورة البقرة الآية ١٨٦: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ وانظر سورة الكهف الآية ١٠٢: ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴾ (المترجم).

الفصل الرابع

انتشار الإسلام



أدت وفاة الرسول ﷺ إلى نشوء مشكلة تعرضت لها الجماعة المسلمة. فقد انتهى زمن النبوة، وتتحدث سورة الأحزاب عن الرسول باعتباره خاتم الأنبياء: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٤٠).

وهكذا ورث خلفاء الرسول مهمة توجيه الجماعة المسلمة ومهمة الإمامة في الصلاة والفتوح. وتتكون الأمة الإسلامية من المؤمنين، وهي مؤيدة بالعون الإلهي ولا يصيبها غضب من الله، وكما هو شائع في التقاليد النقلية عندما تدنو ساعة الحساب ويقول كل إنسان نفسي نفسي، يقول الرسول: «أمتي أمتي». وقد نجح الخليفة أبو بكر رضي الله عنه في استعادة حالة الاستقرار إلى القبائل بعد وفاة الرسول ﷺ وامتناع بعض بطون الأعراب عن دفع الجزية[٧]، حيث أرسل أمراء الجيوش إلى جنوب (اليمن) العراق وفلسطين. أما زمن الفتوح الإسلامية الزاهر فقد بدأ مع خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٦٣٤ - ٦٤٤م) ففي سنة ٦٣٥م استطاع المسلمون فتح دمشق، وفي الأعوام (٦٣٩ - ٦٤١م) فتح الله مصر أمامهم، واستولوا على فارس في السنوات (٦٤٠ - ٦٤٤م). كما أدار عثمان بن عفان رضي الله عنه شئون الخلافة بعد مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه- وبدأ منذ ذلك العصر علو مكانة الأسرة الأموية- واحتج على ذلك علي بن أبي طالب وهو زوج ابنة الرسول السيدة فاطمة -رضي الله عنها-.

(٧) هكذا تقول المؤلفة. والصحيح أنهم امتنعوا عن (الزكاة). كما ثبت فيما روي عنه: الصلاة والزكاة لأقاتلن من فرق بينهم. (المجلة).





وبعدما انتهى عثمان بن عفان من جمع نسخ القرآن الكريم في سنة ٦٥٦م ومقتله كان علي بن أبي طالب هو الخليفة الجديد. إلا أنه بعد مقتل عثمان وجد معاوية بن أبي سفيان الفرصة سانحة أمامه لتأسيس خلافة بني أمية في بلاد الشام وقد اتسعت دولة المسلمين بحيث امتدت إلى المحيط الأطلنطي في الغرب وحتى شمال أفريقيا في سنة ٦٩١م وبلغت بيزنطة وجنوب إسبانيا وبلاد السند في سنة ٧١١م ميلادية. وفي عهد الخليفة الأموي الثاني يزيد بن معاوية في سنة ٦٨٠م حاول الابن الأصغر لعلي بن أبي طالب الحصول على الخلافة لبيت أبيه، وكان هو حفيد الرسول والوريث الشرعي للخلافة. إلا أنه وأتباعه انهزموا في معركة كربلاء وقد قتل في العاشر من شهر محرم. ويمثل هذا اليوم ذكرى يوم الحزن والتعزية لدى الشيعة. وقد قرض كثير من الشعراء قصائد التأبين والرثاء في هذه الذكرى، وخاصة بالفارسية والأردية. وتمثل دوافع الحزن تلك أسس تفسير العديد من الأحداث التي مرت بها إيران مؤخرًا وخاصة إبان الحروب وهي بمثابة تعبير عن مشاعر العداء التي يشعر بها الإيرانيون تجاه أعداء الدين. ونفهم من خلال مؤلفات الشيعة أن أحداث القتال بين الحسين وبني أمية تمثل الحنين إلى التحرر من القوى الظالمة والتخلص من الاستعمار الأجنبي في إيران في العصر الحديث. وفي مكة خرج عبد الله بن الزبير على الخليفة الأموي. وفي العراق حيث الشيعة أتباع بيت علي بن أبي طالب ومؤيدوه، فقد نشأت أفكار





«عـودة الخليفـة علي بن أبـي طالب المنتظـر»[٨]، كما احتدم الصـراع بين العـرب والموالي من أصول غيـر عربية. وطالب الموالي بالمسـاواة مع العرب كما يقتضيه الشـرع الإِسـلامي من مسـاواة بين المؤمنيـن في الحقوق والواجبـات ومع تزايد اسـتغلال التيارات السياسـية في المجتمع الإِسـلامي، نشأت دعوة تطالب بخليفة جديد ينتمي إلى آل البيت مباشـرة. وبعد اسـتغلال تأييد أتباع علي بن أبي طالب مـن أجل مبايعة خليفة من بيت عمومة النبي، نودي بالعباس خليفة على المسـلمين. وهرب آخر خليفة من بني أمية إلى إسبانيا حيث أسس له مملكة هناك في سـنة ٧٥٦م، وسـرعان ما اتسعت حدودها وساعدت علـى ازدهـــار الثقافـة العربية خاصـة في الشـعر والفن، وقد عـرف العالم تلك الإِبداعات. وحتى سـنة ١٠٣١م اسـتمرت الخلافة الإِسلامية الأموية في الأندلس في ازدهار وقوة وشهدت أزهـى عصورها في عهـد الخليفة عبد الرحمـن الثالث (٢٧٧ – ٣٥٠هـ). الذي أسـس مسـجد قرطبة الشـهير الكبير. وقد نشـأت عدة دول صغيرة جديدة عرفت باسـم ملوك الطوائف. واسـتطاع بنو الأحمر تأسيس مملكة لهم في غرناطة استمرت حتى سـنة ١٤٩٢م وفي عهد هذه الأسـرة تأسسـت أهم الآثار المعمارية الإِسلامية في الأندلس وهو قصر الحمراء.

---

(٨) المقولة غير صحيحة بالنسبة للإمام علي. لكن مقولة المهدي المنتظر موجودة في الفكر الشيعي وأسس عليها مذهب (الاثنا عشرية) الذين يعتقدون بعودة الإِمام الغائب محمد بن الحسن العسكري. وبعد ثورة الخميني تعرضت نظرية (الإِمام الغائب) لتصدع شديد.



وفي الشرق اهتم بنو العباس باتباع تعاليم الإسلام وتوخي العدالة في الحكم كما فعل أسلافهم من قبل. إلا أن دولتهم لم تعد عربية مئة في المئة، بل صارت دولة إسلامية كبرى تضم شعوبًا إسلامية غير عربية. وكان انتقال مقر الخلافة الإسلامية من دمشق إلى الكوفة ثم استقرارها بعد ذلك في بغداد في حوالي سنة ٧٥٦م، قد أدى في نهاية الأمر إلى استيعاب التأثيرات الأعجمية من البيئة الفارسية خاصة. وفي نهاية المطاف لم يبق من مظاهر الخلافة العباسية سوى الشكل الخارجي وحينذاك كان الجنود الأتراك هم حماة الخلافة الإسلامية في بغداد (ثم أسس الأتراك خلافة إسلامية لهم وهي الدولة العثمانية) وشهدت بغداد أزهى عصورها التاريخية في ظل الخليفة هارون الرشيد (٧٨٦ - ٨٠٩م) وهو الشخصية الشهيرة في الأوساط الأوروبية خاصة من خلال حكايات ألف وليلة. وبدأ عصر النهضة الثقافية في أيام ابنه الثاني الخليفة المأمون (٨١٣ - ٨٣٣م) حيث انتعشت حركة الترجمة العربية عن علوم الطبيعة والفلسفة اليونانية، وكان لحركة الترجمة تأثير كبير على تطور العلوم العربية، التي أسهمت بدورها وبصورة ثرية في عصر متأخر في تطوير العلوم عند الأوروبيين، حيث يسرت الترجمات العربية العلوم اليونانية وحافظت عليها. ثم نشأت على هامش الخلافة العباسية عدة دول جديدة احتفظت شكليا بالولاء للخليفة العباسي، ونذكر من هؤلاء الأمراء الأمير معز الدولة الذي أسس الدولة الفارسية الشيعية البويهية في سنة ٩٣٢م ولقب نفسه بالسلطان البويهي. وفي مصر تحولت





الخلافة في سنة ٩٦٩م إلى أيدي الشيعة الفاطميين، الذين اجتاحوا شمال أفريقيا. وفي الشرق الأقصى استطاع محمود الغزنوي مد سلطانه إلى شمال غرب الهند وصارت مدينة لاهور في سنة ١٠٢٦م عاصمة الدولة الغزنوية في شبه القارة الهندية. ومن هنا نما الأدب الفارسي وازدهر وانتشر في ربوع الهند حتى بلغ حدود البنغال. وقبل ذلك بقليل ازدهرت الفارسية مرة أخرى وصارت لغة الأدب بفضل أمراء الأسرة السامانية في خراسان. وفي أثناء تلك الفترة تسللت جماعات تركية نحو إيران والعراق، واستطاع طغرلبك السلجوقي الاستيلاء على الخلافة العباسية الواهنة في بغداد في سنة ١٠٥٥م ميلادية. وبهذا تأسست أول دولة مهمة في منطقة الشرق الأوسط وهي الدولة السلجوقية، والتي استهلت عصر ازدهار الفن الإسلامي في فارس، ثم مهدت الطريق للتوجه صوب الأناضول في حوالي سنة ١٠٧١ ميلادية. وهناك تأسست دعائم دولة السلاجقة التي أبدعت المساجد الفخمة والمدارس والأضرحة التي ما تزال قائمة في مدن أرضروم وسيواس وقيسارية وفي قونيه بالأناضول خاصة، وهي منشآت ما زالت تمثل روائع الفن المعماري ولا زالت تدهش من يراها حتى الآن. وقد امتد مقر الأمراء السلاجقة حتى أشرف على شواطئ الأناضول الجنوبية. إلا أن الجماعات المغولية التي اجتاحت الخلافة العباسية في بغداد في سنة ١٢٥٨ ميلادية انتشرت، وسريعا ما بلغت سهول الأناضول فسقطت الدولة السلجوقية وصعد نجم الأمراء الأتراك المستقلين واستطاعت الأسرة العثمانية



السيطرة على الحكم في الأناضول. وفي سنة ١٣٢٦ احتلت الأسرة العثمانية بقيادة الأمير أورهان الثاني إقليم البسفور فصار مقر الدولة الثقافي. ومن ثم انتقل مقر الدولة نحو أدرنة والتي ظلت عاصمة الدولة العثمانية حتى استيلاء العثمانيين على القسطنطينية في سنة ١٤٥٣م.

أما الدولة المغولية -التي دخل حكامها في الإسلام في حوالي سنة ١٣٠٠ ميلادية- فقد أحدثت دوافع جديدة في الأقاليم الإسلامية المركزية المحتلة، وأدى هذا إلى قيام إمارات صغيرة. وقد تمكن تيمورلنك (المتوفى في سنة ١٤٠٥ ميلادية) وهو من أصول تركية، من غزو إيران وأجزاء من الأناضول والشمال الغربي منه خاصة. وبالرغم من صرامته العسكرية إلا أنه اهتم كثيرا بالفنون والآداب. وقد زين عاصمته في سمرقند بالمباني الضخمة مثل أسلافه الذين اهتموا ونشروا الفنون المعمارية في بلادهم مثل فن المنمنمات وفن الخطوط.

وفي مصر سقطت الخلافة الفاطمية في سنة ١١٧١ ميلادية على يد الأسرة الكردية المعروفة باسم الأيوبيين. وكان البطل صلاح الدين الأيوبي أشهر أفراد تلك العائلة، وهو المعروف في الآداب الأوروبية بالنبيل العادل نتيجة لدوره النشط في صد الغزوات الصليبية على الشرق. وقد تزوجت آخر الأميرات الأيوبيات [شجر الدر] من قائد جيوشها التركي في سنة ١٢٥٠م، ومن ثم أسس الظاهر بيبرس الدولة المملوكية، وهي الدولة التي عملت على وقف الزحف المغولي في سوريا في سنة ١٢٦٠م. وتوارث الحكم الأبناء من الآباء في بداية





الدولة المملوكية حتى سنة ١٣٨١م، إلا أن الانتخاب صار هو الأسلوب المتبع في اختيار سلاطين الدولة في العصر التالي.

وقد نشأ المماليك في روسيا وآسيا الوسطى وكانوا عبارة عن جنود مرتزقة، وهو معنى الكلمة (مملوك). وقد تدرجوا في المناصب المختلفة حتى بلغوا قمة الإدارات واستولوا على الحكم. وقد انتهى عصر الحكم المملوكي والذي تميز بالروعة في النواحي المعمارية، بعد أن انتصر العثمانيون على الجيوش المصرية والشامية في معركة مرج دابق بالقرب من شمال حلب في سنة ١٥١٦ ميلادية. وقد امتد سلطان الدولة العثمانية حتى بلغ مصر ومكة والمدينة، وشهد الحكم العثماني عصر توسع آخر في عهد الخليفة سليمان القانوني (١٥٢٠ - ١٥٥٦م)، وامتد نحو الغرب وبلغ أبواب مدينة فيينا. وقد أسس العثمانيون المساجد العامرة وبلغت قمة الجمال المعماري في العاصمة إستانبول. وفي إيران استطاعت الأسرة الصفوية الحاكمة في إيران وبزعامة مؤسسها إسماعيل الصفوي من إعلان مذهب الإمامية الاثنا عشرية الشيعي مذهبًا رسميًا للبلاد في سنة ١٥٠١ ميلادية. وهكذا تم عزل الإمبراطورية العثمانية السنية في الغرب الإسلامي عن الدولة المغولية السنية الناشئة في الهند، وهذا يفسر أهمية الدور الإيراني الهام في سياسة الشرق الأوسط والذي قامت به منذ ذلك الوقت وحتى اليوم. وقد أسس بابُر ذلك الشاب الظريف الذي انتمى إلى مدينة فرغانة، خليفة تيمورلنك دولة قوية في شمال الهند حيث اعتاد ذلك الإقليم على الوقوع تحت



سيطرة الأمراء المسلمين منذ عهد الأمير محمود الغزنوي. وقد امتد سلطان أولئك الأمراء حتى بلغ شرق البنغال. وقد سيطر الأمير بابُر على الحكم في دلهي (بالهند) في سنة ١٥٢٦م وأصبح مؤسس الدولة المغولية في الهند، وهي الدولة التي استمرت في حكم الهند قرابة ثلاث مئة عام. وقد أشرك حفيده الأمير أكبر (١٥٥٦ - ١٦٠٥م) الوطنيين الهندوس في شئون الحكم، وقد رحب بالتعاون معهم ومع المسيحيين والبارسيين (الفرس) وكان هذا بمثابة تشكيل فريد للإسلام في الهند. وقد اتبع ابنه الأمير جهان جير وحفيده شاه جهان سياسة التسامح بقدر أكبر مع أتباع الأديان الأخرى، وقد اتخذ الأمير دارا شيكو ابن جهانشاه اسمًا هندوسيا نظرا لاهتمامه الكبير بالأدب الديني الهندوسي. وقد تأسست أشهر المزارات المعمارية والدينية في شمال غرب الهند وهي (تاج محل) وهو الضريح الخاص بزوجة الأمير جهانشاه. وانتهى هذا العصر على يد الإمبراطور المتزمت المتشدد ضد الإسلام أورانجزيب (١٦٥٨ - ١٧٠٧م). وقد أنهى استقلالية الهند صحوة الهندوس والسيخ السياسية والعسكرية التي ساعدت على تغلغل التأثير الإنجليزي أيضا في شئون الهند في سنة ١٨٥٧م، في أعقاب الحملات العسكرية النشطة التي قام بها الأمراء الفرس وعلى رأسهم الأمير نادر شاه في سنة ١٧٣٩م وخليفته أحمد شاه درّاني.

إلا أن الإسلام استمر في انتشاره واستقر في البيئات الهندية





والإندونيسية على مراحل زمنية طويلة، وبالرغم من انتهاء الحكم الإسلامي هناك إلا أن حوالي نصف العالم الإسلامي يحيا في هذه البلاد حتى اليوم. وقد نشأت عدة تيارات تدعو للتحديث في القرن التاسع عشر. وعلينا هنا ألا نغفل أهمية الجماعات الإسلامية النشطة في آسيا الوسطى والصين عندما ننظر إلى زحف المسلمين المستمر في غرب أفريقيا ووسطها. ونلاحظ في القرون من السابع عشر حتى التاسع عشر مظاهر الضعف السياسي في العديد من الأقاليم الإسلامية السابقة وضعف إشعاعها الروحي، إلا أن هذا لا يدعونا إلى تفسير جديد للإسلام. وفي القرن التاسع عشر تحولت عدة شعوب إسلامية من جديد إلى التقوقع داخل حدودها وانتشر تيار القومية في البلدان الإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى. وقد أدى هذا التيار السياسي إلى نشأة عدة دول مستقلة ومنها جمهورية باكستان الإسلامية، في حين أن تركيا قد اتخذت لنفسها النهج العلماني في شئون الدولة بالرغم من أن غالبية الأتراك يشعرون بأنهم مسلمون متدينون. ولم يكن غريبا على العارف بطبيعة الأتراك أن يرى اليوم عودة التيارات الأصولية إلى الظهور من جديد، وهي في صراع مستمر مع القوى العلمانية في الدولة فيما يتعلق بالدستور وأسلوب المعيشة المتطلع نحو الغرب الأوروبي باستمرار.

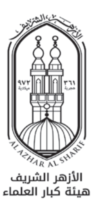
الفصل الخامس

تعاليم الدين الإسلامي



القرآن الكريم هو أساس الإسلام عند المؤمنين وهو كلمة الله الصحيحة، ولم يكن للرسول ﷺ سوى دور توصيل هذه الكلمة الإلهية للمسلمين بلسان عربي مبين. والقرآن الكريم محفوظ في اللوح المحفوظ في السماء، وهو مصدر العبادات والفروض عند كل المسلمين من العرب وغير العرب. ولا يمكن نقل نص القرآن الكريم إلى لغة أخرى؛ لأنها تعجز عن نقل المعنى المستهدف في الكلمة الإلهية. ولذلك فكل ترجمات القرآن الكريم تسمى تفسير معاني القرآن الكريم. والأسلوب القرآني أسلوب معجز ولا يمكن تقليده أو مضاهاته؛ لأنه بليغ ومعجز بشكل يسمو فوق اللغة الإنسانية، وتكمن الأسرار الإلهية في ترتيب آياته أيضًا. ونظرًا لغياب الترجمة الأوروبية المتجانسة فكريًا حتى اليوم فإنه من الصعوبة على الأوروبيين بمكانٍ فهمُه واستيعابُه، ولماذا لا يزال القرآن الكريم يؤدِّي دورًا هامًا ومؤثرًا منذ ١٤٠٠ عام في حياة المسلمين. فبماذا يؤثر في المسلمين حقيقة؟ وقد عبر (جوته) عن ذلك بما معناه: إن أسلوب القرآن الكريم من خلال محتواه وهدفه غاية في الدقة والعظمة والثراء ويوحي بالصدق.

ويأتي ترتيب سور القرآن الكريم كالتالي حيث يبدأ بالسور الطوال ثم ينتهي بالسور القصار في ترتيب دقيق ومحكم خاصة بعد أن جمعه الخليفة عثمان بن عفان. ويبدأ القرآن الكريم بسورة الفاتحة وهذه السورة الكريمة تلاوتها شرط لصحة الصلاة. وبعد سورة الإخلاص تعتبر سورتا الفلق والناس بمثابة التعوذ من الحسد ومن شرور الناس. وتبدأ سور القرآن



الكريم وعددها ١١٤ بعناوين قصيرة مثل سورة البقرة وسورة النجم... إلخ.

ويجب البدء في تلاوة كل سورة بالبسملة وهي تقي من وساوس الشيطان. ويقرأ المسلمون في كل يوم سورة من القرآن الكريم هي سورة الفاتحة في أثناء الصلاة، كما يهتمون بسور معينة مثل سورة ياسين وهي تُقرَأ بكثرة في حالات الوفاة وتأبين الموتى. وتزدان جدران المساجد بآيات قرآنية محددة مثل آية العرش في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ (البقرة: ٢٥٥). وقد أتى الرسول ﷺ بآيات القرآن الكريم باعتبارها معجزة، لكي يُسكِت الكافرين ويفند كفرهم بالله سبحانه وتعالى. وقد أكد الوحي ذلك. والإنسان في القرآن الكريم هو المحور الأساسي للإسلام، فهو من ناحية قد وُصف بأنه أفضل من الملائكة لأن الله قد خلق آدم من أديم الأرض كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ (الحجر: ٢٨).

وأمر الله الملائكة بعد تمام الخلق أن يسجدوا ويخضعوا لآدم كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ (الحجر: ٢٩، ٣٠)، لأن الله خلقه باعتباره خليفته في الأرض مصداقا للآية الكريمة: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٣٠). إلا أن الشيطان رفض الخضوع للأمر الإلهي؛





ولذا فقد هوى من الملكوت الأعلى. ويؤكد القرآن الكريم أن خطيئة آدم لم يرثها البشر بعكس الرؤية المسيحية التي تشير إلى ميراث الإثم، فالإنسان خُلق على الفطرة وهو خيِّرٌ بطبعه ويغير من نفسه بحسب متغيرات الحياة. ويؤكد القرآن الكريم أيضًا الرابطة الوثقى بين الإنسان وبين الله في أجمل تعبير في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٧٢). وهكذا عبر البشر جميعًا عن طاعتهم لله وخضوعهم لأوامره وهم بهذا لا يستطيعون التعلل بشيء في يوم القيامة. وقد صارت الآيةُ السابقةُ موضوعًا أساسيًا عند أهل الصوفية بحيث أعانتهم على التأمل، وكثيرًا ما استوحوها في أشعارهم. فالإنسان هو الذي تحمل الأمانة الإلهية بينما أبت السماء والأرض أن تحمل هذه المهمة الكبيرة مصداقًا للآية الكريمة: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب: ٧٢). وقد ذهب المفسرون مذاهب شتَّى في حقيقة هذه الأمانة فمنهم من قال إنها طاعة الله، ومنهم من قال إنها تشير إلى الإيمان بالله، ومنهم من رأى أنها تعبر عن الحب الإلهي، وفسرها آخرون باعتبارها تدل على المسئولية الفردية للإنسان في إطار حرية الاختيار. والإنسان مُطالب في القرآن بالتفكير واستكشاف الآيات الإلهية التي أودعها الله في نفس الإنسان، وبهذا يتدبر في أحداث التاريخ والحضارة. وقد كان القرآن الكريم في



مجموعه محور دراسات كثيرة لقرون طويلة، وخاصة الأجزاء التي تتناول تنظيم حياة البشر ونظام الحكم. وقد نشأت عن الدراسات المهتمة بالأسلوب القرآني عدة علوم لغوية مثل البلاغة والنحو، وغرست في النفوس حقيقة أسلوبه المُعجز. وهذا ما دعا الشعوب الإسلامية غير العربية إلى ضرورة تعلم العربية. وقد أثر هذا على لغات مثل الفارسية والتركية وآداب الهند وآسيا الوسطى وأفريقيا، حيث مثلت العربية أهمية كبيرة بالنسبة لهم. وحتى اليوم تعتبر لغة القرآن الكريم مؤثرًا مهمًا في الشعوب الإسلامية غير العربية في شعرهم وكذلك في لغاتهم المتداولة. وأدى الاهتمام بتجويد القرآن الكريم لدى الشعوب السابقة إلى تطور علم القراءات القرآنية. إنَّ في النطق العادي للعربية خصائصَ دقيقةً، ولكننا نجد في القراءة القرآنية قواعد أكثر في الوقف والابتداء وفي رفع الصوت وخفضه على نحوٍ راقٍ ومتميز. ويتبوأ حافظ القرآن الكريم مكانة متميزة بين المسلمين، ويحرص آباء الصبية على إرسال أطفالهم في سن مبكرة إلى مدارس تحفيظ القرآن في المساجد لكي يتعلموا القرآن جيدًا.

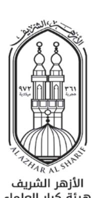
وتتكون دعائم الإسلام من خمسة أسس يجب على المسلم الوفاء بها وهي: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، والإيمان بالرسل والملائكة والكتب السماوية، والزكاة، والصلاة والصوم، والحج إلى بيت الله الحرام في مكة. والإيمان بالرسل والأنبياء السابقين على الرسول ﷺ يعني الإيمان بأن الرسول ﷺ قد تلقَّى من الله الوحي المتمم





للرؤى التي أتى بها أولئك الرسل والأنبياء من قبل، وأن الإسلام هو خاتم الرسالات السماوية للعالم أجمع. ويأتي التأكيد على هذا في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الإسراء: ١). وقد آمن المسلمون بالإسراء والمعراج، وأصبح من الأمور الراسخة في التقاليد الإسلامية طاعة الرسول ﷺ فهو مَن أدَّى الأمانة وشرح للمؤمنين الشريعة والوصايا الإلهية. وعلاوةً على الشهادتين فإن صيام شهر رمضان والزكاة من أسس ودعائم الإسلام، بل هي عماد الدين ويجب الوفاء بها وكذلك الحج إلى الكعبة الشريفة لمن استطاع إليه سبيلًا.

والزكاة في الإسلام تعتبر ضريبة منتظمة. وقد نص عليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٦٠)، ويجب تقديمها للفقراء وذوي الحاجة وفي سبيل الله، أي من أجل أغراض شتَّى فيها خدمة المسلمين. ففي باكستان تستخدم الزكاة من أجل تأسيس المدارس أيضًا. والزكاة هي في واقع الأمر الأموال التي يدفعها الأغنياء وتعتبر وسيلة وقائية تحمي الفقراء من ضغوط الرأسمالية والشيوعية في آن واحد على حد رأي محمد إقبال، ولويس ماسينون وغيره من المسيحيين. والصوم هو أحد أهم الفروض الإيمانية، بالرغم من أنه من الأمور التي يراها



الأوروبيون صعبة بالنسبة لهم لأنهم لم يعتادوها أو يختبروها.

والصيام في الإسلام هو صيام شهر رمضان وهو الشهر التاسع من أشهر السنة الهجرية، والتي تبلغ **٣٥٤** يومًا، ويبدأ الصيام منذ بزوغ فجر اليوم الأول من رمضان، أمَّا الإفطار فهو مع مغيب شمس اليوم نفسه، ويحرم على المسلم الأكل والتدخين أو استنشاق الروائح[٩] والمعاشرة الزوجية. ويجب على المسلم أن يجدد الصيام دائمًا حيث ينوي الصوم قبل بزوغ الفجر في كل يوم من أيام رمضان. وتسمح الشريعة الإسلامية للنساء الحوامل والأطفال الرُّضَّع والمرضى والمسافرين والعجائز بالإفطار وعدم الصوم، وعليهم تعويض تلك الأيام أو إطعام المساكين، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: ١٨٥).

وهناك اختلاف في مواقيت الصوم بين المسلمين في الشرق وفي الغرب، حيث يُضطر المسلمون في ألمانيا إلى تحديد لحظة غروب الشمس وفقًا للبلد الإسلامي التالي في التوقيت وهو تركيا في هذه الحالة، ويلي الإفطارَ القيامُ لصلاة التراويح. ثم يتناول المسلمون الطعام مرة أخرى قبل شروق شمس يوم جديد ويسمى طعام السحور. وقد لاحظنا أن بعض المسلمين

---

(٩) هكذا تقول المؤلفة.. ومن المعلوم أن استنشاق الروائح ليس من المفطرات. (المجلة).





الذين لا يلتزمون بالصلاة في مواقيتها، يلتزمون بالصوم في شهر رمضان وخاصة في الأيام العشرة الأخيرة منه والتي تكون إحداها ليلة القدر وهي غالبًا ليلة السابع والعشرين، ففي هذه الليلة نزل الوحي بالقرآن الكريم على الرسول ﷺ لأول مرة كما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ (القدر: ١ - ٥). ويؤمن المسلمون أن العالم يتسربل في هذه الليلة بالأنوار والبركات. وعيد الفطر الذي يلي أيام الصوم ينتظره الصائمون بفرحة غامرة وفقًا للتقاليد الإسلامية، حيث يتحلّى المسلمون بأطيب ما لديهم من ثياب وآداب في المعاملات.

والحج إلى بيت الله الحرام في مكة له مواقيت محددة في شهر ذي الحجة. وللحج شعائر محددة حيث يرتدي الحجيج ملابس الإحرام قبل المشاعر المقدسة في مكة، ويشرعون في ممارسة فروض الحجِ وهم يردِّدون: «لبيك اللهم لبيك». ومن شعائر الحج الطوافُ حول الكعبة والوقوف بجبل عرفات، والسعي سبعة أشواط بين الصفا والمروة، وجمع الجمرات ورجم الشيطان ثلاث مرات. وفي اليوم العاشر ينحر كل حاج أضحية من الخراف، وهكذا يفعل المسلمون في غير المشاعر المقدسة في أول أيام عيد الأضحى. وبعد انتهاء شعائر الحج يجوز للمسلمين من الحجيج العودة ثانية إلى كل ما حُرموا منه إبان الحج. ويجب على المسلم الحج من ماله فلا يجوز



له الاستدانة من أجل الحج، ولا يجوز له الحج إذا كان في حجه ضررٌ ما قد يلحق بأسرته، وكذلك يجب عليه الحج حال كونه سليمًا ولا يعاني المرض. وتعتبر تلك الرخص من الأسس الواقعية الإنسانية؛ وما أكثرها في الإسلام. ويشترك كل الحجيج في صلاة الجماعة في مكة، وهذا ما يساعد على تقوية شعور الترابط الإنساني بين جموع المسلمين وإن كانوا من بلاد متباينة في اللغات والعادات.

وعلينا هنا تسجيل ملاحظة هامة وهي أن كل الحركات الإصلاحية الإسلامية نشأت في إطار وبتأثير من المشاعر المقدسة؛ فقد عاش كثير من البنغاليين والنيجيريين والمغاربة ومواطني آسيا الوسطى في مكة، وتشبعوا بتعاليم الإسلام في البيئة العربية. وعندما عادوا إلى بلدانهم ثانية كافحوا كل البدع التي يخلو منها الإسلام السمح. ونذكر هنا أن المؤلفات الإسلامية ذات الأثر الكبير في صياغة الفكر الإسلامي مثل كتاب (الفتوحات)، قد ألفه محيى الدين محمد بن علي بن عربي (٥٦٠ - ٦٣٨) هجرية المتوفَّى في سنة ١٢٤٠ ميلادية في رحاب الأراضي المقدسة في مكة.

وتعتبر الصلوات الخمس اليومية؛ (وتسمَّى بالفارسية والتركية «نماز»)، الفريضة الإسلامية ذات الأهمية الكبرى في العالم الإسلامي. ويقال إن الصلاة هي الفرق الوحيد بين المؤمن وغير المؤمن. وتتوازن أوقات الصلاة اليومية ما بين الفجر والظهر والعصر والمغرب ثم العشاء عندما يبدأ المساء. ويرفع المؤذن الأذان قبل كل صلاةٍ بصوت مسموع.






ويتكون الأذان من أقسام إعلان الإيمان بالشهادتين والصلاة على الرسول ﷺ . وفي أيامنا يستعين المؤذن بمكبر الصوت فوق أسطح المنازل والمآذن لكي يصل صوته إلى أكبر عدد ممكن من السامعين والذين ما إن يسمعوه حتى يقوموا بالتوضؤ استعدادًا للصلاة. ويسمح للمسلم بالصلاة في أي مكان بشرط توفر الطهارة فيه. وإذا فسد وضوء المرء بتأثير النوم أو ما يخرج من سوائل الجسم أو غير ذلك فعليه أن يجدد وضوءه مرة أخرى... وإذا لم يفسد وضوء المرء بتأثير أي من العوامل التي ذكرناها قبل ذلك فلا يجب عليه تجديده. وإذا عاشر المسلم زوجه أو إذا جاءت المرأةَ دورتُها الشهرية، فعلى المرء أن يغتسل كليةً بحيث لا يبقى جزء من جسده دون أن يغسله بالماء ابتداءً من شعره وحتى أخمص قدميه. وبعد الاغتسال الكامل يصبح المرء مستعدًا للصلاة أو لمس القرآن الكريم مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ (المائدة: ٦). وقد صار من العادات الإيمانية أن يغتسل المسلمون قبل الصلاة في يوم الجمعة، وإن لم يكن هناك ما يستوجب الاغتسال الكامل،



ثم يبقون لسماع الخطبة ودرس الجمعة في الظهيرة. ويسمح الإسلام بالتيمم أي باستعمال التراب إذا ما انقطع الماء أو نَدُرَ. وعادة تنقسم خطبة الصلاة في يوم الجمعة إلى قسمين، القسم الأول هو الدرس التعليمي التهذيبي والوعظي والقسم الثاني للدعاء. وتعتبر الصلوات الخمس من قبيل العبودية والطاعة لله، ويستطيع المرء أن يدعو الله لتحقيق غاياته الدنيوية في نهاية كل صلاة. وفي حالة السفر يُسمح للمرء بقصر الصلاة، وفي حالة حدوث خسوف للشمس والقمر فعلى المسلمين الصلاة من أجل انكشاف تلك الظاهرة الطبيعية بسلام وكذلك في حالة انقطاع المطر تكون الصلاة من أجل نزوله وتسمى صلاة الاستسقاء. ويؤمن المسلمون بأن للصلاة اليومية قدرةً كبيرةً على تحقيق الصفاء والطهارة. ويشبهونها بالنهر الذي يفيض خمس مرات يوميًا فيغسل ذنوب المرء تمامًا. وتعتبر المحافظة على مواقيت الصلاة والاصطفاف بانتظام ومساواة أثناء الصلاة من الأساليب التربوية التي تحض على الدقة والالتزام والطهارة وبناء الجماعة الإنسانية الفتية.

ويكفي المسلمَ المكانُ الطاهرُ لكي يتم صلاته، وليكن هذا المكان في الحقل أو القطار أو في السيارة أو في محل العمل. وهنا يكتفي بقطعة صغيرة من القماش لضمان طهارة المكان. وقد بنى المسلمون أماكن مخصصة للصلاة في عصر الرسول ﷺ وهي (المساجد) أي أماكن السجود. وآنذاك كانت جموع المصلين تعمُر المساجد الكبيرة في أيام الجمعة من أجل سماع الخطبة، وقد تمّ تأسيس مسجد كبير في كل مدينة من



أجل هذه الغاية. وفي البلدان الإسلامية الشرقية وجدت أماكن الصلاة الصغيرة والتي تسمى مُصلى، ويجتمع المسلمون في أيام الأعياد في المساجد الكبيرة. وقد أصبح بناء المساجد في البلدان الإسلامية مظهرًا هامًا من مظاهر الفن الإسلامي الراقي. والأمثلة على روائع الفن الإسلامي كثيرة نجدها على سبيل المثال لا الحصر في المسجد الكبير بقرطبة والذي تأسس في سنة ٩٢٩ ميلادية، والمسجد الكبير بمدينة سامراء وكانت العاصمة الثانية للخلافة العباسية، وهو مسجد ضخم يضم ٢٥ صحنًا تتسع لحوالي مئة ألف مُصلٍّ. ويمثل مسجد سامراء النموذج القديم لبناء المساجد الكبيرة. وقد ارتبط بناء المساجد بنموذج المدارس القديمة حيث حلَّتْ الأعمدة محلَّ الأروقة، وأصبحت الواجهات ضخمة البنيان، ونجد الأبواب ذات المقرنصات الفخمة الضخمة في الأقاليم التركية والفارسية وفي المساجد المملوكية في مصر وبعض أجزاء من الهند. وقد بلغت فنون بناء المساجد قمة ازدهارها في المسجد الكبير بتركيا وهو ينافس ويضاهي بقبابه الكثيرة وروعة بنائه عمارة كنيسة الحكمة المقدسة في استانبول والمعروفة باسم (آيا صوفيا) . وتعتبر بنية المساجد بقباب نصف كاملة في تدرج مستمر قمة البناء المعماري. وتتباين أشكال منارات المساجد بين الشكل المستدير والمألوفة في سوريا القديمة والشكل المألوف في البلدان الإسلامية العربية مثل المنارات التي تربو على خمسين مترًا في ارتفاعها مثل المنارة اللولبية في مسجد سامراء، والمنارات ذات الطابع المملوكي المزخرفة بعقودٍ في



شكل تيجان، والمنارات الفارسية المستديرة المبنية من الطوب الآجر والتي تشبه شكل المداخن العالية، والمنارات العثمانية ذات الشكل المدبب، والمنارات المتأثرة بالأشكال التقليدية في البناء كما في الهند وإندونسيا وشرق آسيا. ويسمح للنساء بالصلاة في المساجد أيضًا، ويخصص لهن أماكن منفصلة في نهاية المسجد أو حجرات خاصة بهن. وتنظيم أقسام المسجد غاية في السهولة بحيث نجده كالتالي: يوجد في فناء المسجد نبع الماء؛ أو صنابير المياه، حيث يتوضأ المصلون دائمًا. ويُبنى المحراب بحيث يتجه نحو مكة، ويصنع من الخشب أو من القيشاني كما هو مألوف في المحاريب السلجوقية، أو من الفسيفساء أو من الحجر ويحلّى بالآيات القرآنية في شكل زخرفي بديع. ونجد من الآيات القرآنية والتي تمثل زخارف المحاريب في المساجد، ما جاء في قوله تعالى: في الآية ٣٧ من سورة آل عمران ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[١٠] (آل عمران: ٣٧). وهناك نوعان من المحاريب قد أثارا اهتمامنا، أولها في بيبابور ويرجع إلى القرن السابع عشر، وارتفاعه حوالى ٦ أو ٧ أمتار وهو أضخم محراب في العالم الإسلامي وهو مزخرف بالكتابات المنحوتة والمزخرفة بألوان بديعة وعناصر التجميل الأخرى. وثانيها في

---

(١٠) المثبت في الأصل أنها الآية رقم ٣٢ من سورة آل عمران وهو ترقيم خطأ والصواب ما أثبتناه في الترجمة. (المترجم).



مسجد فيصل باستانبول الذي اكتمل في سنة ١٩٨٨م، وهي على هيئة كتاب مفتوح من المرمر الأبيض ومكتوب عليه سورة الرحمن بخط كوفي مُذهَّب. وتتكرر موضوعات أماكن الصلاة في المساجد بتأثير من فارس وتركيا وتمثلان القوالب الأساسية التي يتمثلها البنَّاءون في بناء المساجد دائمًا ومنذ قرون. ويأتي المنبر دائمًا إلى جانب أماكن الصلاة في المساجد. وهو المكان الذي تُلقَى منه الخطبة، وهو ركنٌ معروف منذ عصر النبي ﷺ، حيث يصعد الخطيب من بابه على سلم مستطيل صغير. والأصل فيه أن يتكون من ثلاث درجات فقط، ويبدو المنبر غالبًا في تشكيل جميل من الصناعة الخشبية اليدوية (فن الأرابيسك). وقد تصنع منصة خاصة بالحاكم داخل المسجد، وتضاء المساجد الكبيرة بالمصابيح المحلاة بالأشكال الزخرفية، وبهذا يكون بناء المسجد تم بالفعل.

والمساجد لا يوضع فيها الصور كشكل زخرفي وكذلك الأشكال الهندسية، بل نجد الأشكال الزخرفية بالمساجد تقتصر على الزخارف الخطية فقط. وقد ابتدعت الخطوط العربية من الأشكال الفنية ومن هنا ظهرت أهميتها. وقد حافظت الخطوط العربية على شكل كتابة القرآن الكريم. وقد حرص علماء العربية منذ القدم على كتابة القرآن الكريم بحيث تظهر نسخه جميلة ومزخرفة بقدر الإمكان. والخط الكوفي هو أقدم أشكال الخط العربي، إلا أنه كان مقصورًا على أهل العلم لأنه خلا من نقط الإعجام وكان هناك خلط بين حروفه. وكانت المخطوطات الأولى والمكتوبة بالخط الكوفي بمثابة المسودات التي تساعد علماء القرآن الكريم على تنشيط



ذاكرتهم. وبعد ذلك شهد الخط العربي مرحلةً جديدةً حيث وضعت نقط الإعجام ورموز الصوائت (أي علامات الفتحة والضمة والكسرة) بخطوط تميزها. وفي مجموعة الكتابات القديمة على الرق فقد توصل النساخ إلى خط رشيق على هيئة أوراق النباتات، كما ابتدعوا أشكالًا هندسية غاية في الإتقان وذابت معها الحدود بين الخطوط وبين الزخارف. ومن ناحية أخرى فقد تطور خط عربي جديد هو الخط المائل المعروف بالنسخي، وصار هو الخط المستخدم في كتابة النصوص غير الدينية مثل الخطابات والكتب. وتوصل العرب لنوع جيد من البردي وذلك بعد أن عرف العرب الكتابة على البردي في آسيا الوسطى في حوالي ٧٥١ ميلادية. وفي بداية القرن العاشر الميلادي ابتدع الوزير والكاتب البغدادي محمد بن علي بن الحسين بن مُقْلَة أبو علي (٢٧٢ - ٣٢٨هـ) نظامًا قياسيًا في كتابة الخط حسب زوايا هندسية محددة، واستندت طريقته على عيدان الريش المستعملة في الكتابة. وابتدعت عدة أشكال خطية ذات زوايا مائلة. ومن ثم تطورت الخطوط المائلة وبلغت غاية الكمال والروعة في الخط العثماني. وعلاوةً على الخطوط العربية المبتدعة فقد تطورت نماذج خطية جديدة في إيران استعملت في كتابة النصوص الفارسية والتركية وخاصة النصوص الشعرية، إلا أنها لم تكن مناسبة لكتابة النصوص العربية ولهذا توجد مصاحف قليلة جدًا مكتوبة بخط غير عربي. وكان نسخ القرآن الكريم كاملًا أو بعض آيات منه على الأقل من أهم ما يمكن للمسلم أن يتطلع إليه وخاصة عند المتعلمين والحكام أيضًا. وفي الواقع فإن إمكانيات تطور





الخط العربي غير محدودة، بدءًا من كتابة النص في أسطر كبيرة العدد وينتمي إلى هذا النوع نسخة من القرآن الكريم مقاسها ١٠١ × ١٧٧سم واحتوت كل صفحة على سبعة أسطر، ثم ظهر أسلوب تزيين النص بالأشكال النباتية والحيوانية، إلا أن هذه الزخارف لم تستعمل في كتابة نسخ القرآن الكريم. وبالرغم من أن تحريم الصور لا يوجد به نص صريح في القرآن الكريم، إلا أننا لا نستطيع أن نتصور تزيين السور القرآنية بالزخارف المصورة. ونستطيع أن نتلمس أثر الفن الإسلامي في فن المنمنمات أي فن الزخرفة. ونجد في فن الأرابيسك حيث تمتد الأشياء بلا نهاية، الهدف المركزي للفن الإسلامي وإن كان الشكلُ هندسيًا أو نباتيًا. ومن خلال تضاعيف الأشكال أو أنصافها يبدو الشكل الفني بلا نهاية، وهو ما يدعو إلى التأمل في غير المحدود والخلود وعجائب خلق الله. وكما كانت هناك محاولات قليلة قديمة في المنمنمات لتصوير الرسول ﷺ بحيث لم يظهر وجهه الكريم مطلقًا، فإن كتابة مصاحف القرآن الكريم قد اضطلعت بدور الفن[١١]، أما وصف الرسول ﷺ فقد صار يعبر عنه من خلال أقدم الأحاديث الشريفة بتصوير لغوي. والقرآن الكريم هو أساس الحياة الإسلامية، من (فقه العبادات) الفروض الدينية ووصولاً إلى التساؤلات المتعلقة بالفنون. ومع مرور الزمن تطورت علوم التفاسير الدينية. وكانت أولى مراحل تفسير القرآن الكريم تتمثل في عرض لغة

(١١) المراد أن كتابة المصحف الشريف كانت مجالًا للإبداع والتنوع في الخط الذي كتبت به المصاحف بحيث كانت صورًا بديعة لاختلاف أنواع الخطوط وجمالها.



النص القرآني. وكانت هناك تنوعات في قراءة الآيات القرآنية. ولم يكن تفسير القرآن الكريم من الأمور المستحبة في بداية الأمر خوفًا من المغالاة والخطأ. وبعد ذلك تطور علم التفسير في محاولة الوصول إلى تفسير متكامل للقرآن الكريم. وكان تعدد أساليب التفسير دليلًا واضحًا على طبيعة القرآن الكريم المعجزة. وقد أكد كثير من الفقهاء والأتقياء على طبيعة الوحي القرآني وإعجازه. ويرجع أول تفسير جامع كبير للقرآن الكريم إلى الطبري (٨٣٩ - ٩٣٥ ميلادية) المؤرخ المعروف ويتكون من ثلاثين مجلدًا. وكتب الزمخشري تفسيرًا للقرآن الكريم بتأثير المعتزلة في سنة ١١٣٤ ميلادية، وهو تفسير يهتم بالتركيب اللغوي بوجه خاص وكان من أهم التفاسير المكتوبة في فترات لاحقة تفسير البيضاوي في القرن الثالث عشر، وتفسير السيوطي في القرن الخامس عشر في مصر، ثم تفسير ألمالي بالتركية في القرن التاسع عشر.

أما بالنسبة للطرق الصوفية فقد كانت هناك محاولات لفهم المعاني الخفية وراء المعاني اللفظية. وكان تفسير ابن عربي (المتوفى في سنة ١٢٤٠ ميلادية) أوضح مثال على تلك المحاولات. وحاول الشيعة بفرقهم الباطنية أيضًا البحث عن المعاني الخفية وراء الدلالات اللفظية لكي يتقدم الإنسان نحو المعرفة الكبرى (التأويل). فالمعاني الخفية في القرآن الكريم تتناسب مع الروح التي تفسر الألفاظ. وقراءة القرآن الكريم يعتبرها كل المسلمين بمثابة الحديث إلى الله ومناجاته، وهو ما يمكن المسلم من التقرب إلى الله. وإذا جاز لنا هنا أن نسمِّي قراءة القرآن الكريم فيمكننا أن نسميها أحد الأسرار القدسية.





وفي العصور الحديثة تضافرت العلوم الإسلامية من أجل فهم أفضل للقرآن الكريم. ولأن القرآن الكريم هو ختام الوحيً فكان من الواجب البحث عن معارف العلوم العصرية فيه. ومن كلام الشيخ مصطفى المراغي شيخ الأزهر الأسبق عن أن الإسلام هو الدين الحق، لا يجوز أن يختلف مع العلم، وإذا صادفتنا حقيقة علمية قد تختلف مع القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فهذا مرجعه أننا لا نفهم كتاب الله وسنة نبيه الكريم كما ينبغي. والإسلام رسالة عالمية توضح لنا أنه في حالة تعارض الحقائق العلمية القاطعة معها، فإن علينا تفسير النص القرآني تفسيرًا مجازيًا. كما أوضح المصلح الهندي سيد أحمد خان (المتوفى في سنة ١٨٩٨ ميلادية) في كتابه أن الله موجود في كل الطبيعة والوحي لا يمكن أن يتعارض معها. ويحاول المسلمون أحيانًا البحث في القرآن الكريم عن تفسير للظواهر العلمية والعسكرية وغيرها، وهكذا فقد أصبحت السور القرآنية ... بمثابة المعين الذي يفسر تطورات الحياة الإنسانية. وعلى النقيض فقد أكد المجدد الهندي محمد إقبال خلود عالم القرآن الكريم ومرونته مع الزمن وأن روحه ضد الجمود. وهناك أخيرًا المعارف الصوفية التي تحاول إيجاد مفهوم أعمق لكتاب الله من خلال تفسير دلالات الحروف في اللغة وهو ما يسمَّى: الجفر، الوفق.

الفصل السادس

السنة النبوية



لقد بحث صحابة الرسول ﷺ والتابعون عن الأحكام التي تتناول كافة مناحي الحياة اليومية ورأوا في الأحاديث النبوية وسنة الرسول ﷺ ما يكمل ويفسر الأحكام الواردة في القرآن الكريم. وكان من عادات العرب التمسك بسنن آبائهم وأسلافهم قبل الإسلام، وهكذا وجد المسلمون الأتقياء في تعاليم الرسول ﷺ وسيرته العطرة خير نموذج يتمسكون به في كل أمورهم، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[١٢] (الأحزاب: ٢١).

وقد صارت سنة الرسول ﷺ مصدرًا مهمًا يعين على تفسير القرآن الكريم وقد صيغت المعاني الواردة في الحديث النبوي، وكما أكدتها سنة النبي ﷺ لهذا الغرض. وقد جُمعت أحاديث الرسول ﷺ عبر الأجيال وقد اختلطت بها بعض الأحاديث الضعيفة التي لا تنتمي إليها، إلا أن هذا من الأمور الواردة في جمع التراث بصفة عامة. وتعكس أحاديث الرسول ﷺ -بشكلٍ ما- التطورات التي مر بها التاريخ الإسلامي، وقد أيدت الفرقُ الإسلامية -كلٌّ حسب توجهاته- قسمًا من الأحاديث النبوية الشريفة. وحتى القرن التاسع الميلادي كان مجموع الأحاديث النبوية المجموعة حوالي عشرة آلاف حديث. وكان الإمام

(١٢) ورد رقم السورة ٥٤ والآية ٧ بطريق الخطأ في الكتاب، انظر: Annemarie Schimmel, Der Islam; Eine Einfuehrung, P. 46 والصواب ما أثبتناه في ترجمتنا. (المترجِم)



البخاري (المتوفى في ١٩٤ هجرية / ٨٧٠ ميلادية) وراء هذا المجهود الضخم. وقد صنف البخاري في عمله الكبير الأحاديث الصحيحة من هذا المجموع الضخم وذاك في كتاب (الجامع الصحيح) ويُعرَف اختصارًا بصحيح البخاري. وقد قام معاصره الإمام مسلم بمثل هذا التصنيف في كتابه (صحيح مسلم) وسُمِّي عملُ الإمامين (صحيح البخاري ومسلم) وهو ما يشير إلى كونهما يتضمنان الأحاديث الصحيحة. وقد اتبع الإمامان الجليلان في عملهما التدقيق والمنهج النقدي السليم. ويأتي بعدهما تصانيف الأئمة أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه واختياراتهم. ونحن الأوروبيون نعتبر منهج الحديث النبوي وتصنيف الأحاديث الصحيحة والضعيفة شيئًا لم نألفه في تراثنا الأوروبي ويتكون الحديث من النص النبوي الشريف وسلسلة الإسناد، التي ترجع في نهايتها إلى صحابة الرسول ﷺ. وكان عمل مصنفي الأحاديث وجامعيها هو التدقيق في الرواية، أي في سلسلة الإسناد والتأكد من صحتها، والتأكد من نزاهة وأمانة الرواة؛ وقد كان منهم بعض النساء - أو كانوا من المعروفين للمصنف وغيرها من معايير التدقيق أي الجرح والتعديل والتي تطور عنها في نهاية المطاف علم تاريخي هام سمي (علم الرجال). وعندما كانت الشروط الواجبة تتوافر في حديث نبوي اعتبره المصنفون حديثًا صحيحًا وقاموا بتدوينه. وبالرغم من القواعد الصارمة التي اتبعها المصنفون في تدوين الأحاديث النبوية الصحيحة فقد دخلت عبر القرون



أحاديث موضوعة، منها ما كان من تراث المسيحية واليهودية (وذلك مثل التشبيه الوارد في إنجيل متَّى ٢٥)، كما دخلت في الأحاديث الموضوعة حِكَم قديمة وُضعت في رداءٍ إسلاميٍّ.

ويرى بعض المسلمين الأتقياء حتى يومنا هذا أن فهم الأوروبيين لمنهج (الجرح والتعديل) في جمع الأحاديث النبوية يثير الشكوك. وقد اعترض بعضُ المسلمين من المُحدَثين على الأحاديث النبوية في مجموعها ويسمون (منكرو السنة النبوية). وقد هاجم شراغ علي Chiragh Ali (المتوفى في سنة ١٨٩٥م)؛ وهو أحد زملاء سيد أحمد خان - كتبَ الأحاديث النبوية الشريفة كما فعل إجناس جولد تسيهر في الوقت نفسه تقريبًا في الغرب. وهذا رد فعل على الجماعات السلفية في الهند المتمسكة بالأحاديث النبوية والمعروفة باسم (أهل الحديث)، ووصفها بأنها جماعات مناهضة للإصلاح وكان من أشد معارضيها بدرجة أعنف من أحمد خان نفسه. وكان غلام أحمد بيروز في باكستان ممن عارضوا الأحاديث النبوية باعتبارها مصدرًا هامًا من مصادر التاريخ والحضارة والحياة الإسلامية. وقد أكد على الوحي الإلهي في القرآن الكريم وقال إن القرآن الكريم هو غاية الإسلام. ونجد على العكس منه المفكر فضل الرحمن، المتوفَّى في سنة ١٩٨٨م، الذي عبَّر عن أن السنة الحية هي مفتاح المسلم والطريق الذي يقوده إلى استشراف المستقبل، وقد اهتم هذا المفكرُ بفهم روح السنة النبوية الشريفة والتصرف بما يتناسب وروح العصر، وهو ما نراه معبرًا عن التطور والتجديد.



وإلى جانب الأحاديث النبوية هناك نوع آخر يسمى بالأحاديث القدسية، وهي مصدر إسلامي آخر تضمن الخطاب الإلهي إلى الرسول ﷺ ويشيع هذا النوع من الأحاديث في الأوساط الصوفية على وجه خاص. ويهتم المسلمون الأتقياء بالاقتداء بسنة الرسول ﷺ واتباع نهجه في حياتهم وفي ملبسهم أيضًا. وقد أخذ المسلمون عن سنة الرسول ﷺ كيفية الصلاة ومواقيتها. وتركوا ما لم يفعله الرسول. والمثال الواضح على سنة الرسول ﷺ هو ختان الأطفال والذي يسمى بالتركية سنة نبوية، من أن القرآن الكريم لم يورِد بها نصًا شرعيًا، ويرى بعض الفقهاء أن صلاة المسلم غير المختون صلاة صحيحة مقبولة، إلا أن الختان يعتبر في الأوساط الشعبية المسلمة من علامات الرجولة. وتُجرَى عمليات الختان للأطفال من سن الرابعة وحتى العاشرة، ويعتبر سن السابعة هو السن المناسب لإجرائها. ويعتبر هذا اليوم من المناسبات الهامة التي تحتفل بها الأسرة؛ لأنها تعتبر من السنة النبوية. وهناك عدة عادات أخرى شعبية لا تنتمي إلى السنة النبوية الصحيحة، إلا أنها من العادات المتبعة. ومنها على سبيل المثال الاحتفال بليلة الثاني عشر من شهر ربيع الآخر باعتباره يوم المولد النبوي الشريف، وهو من العادات المتبعة منذ العصور الوسطى ويحتوي التراث الإسلامي على قصائد كثيرة كتبت من أجل هذا الاحتفال ومنها قصيدة (مولد) لسليمان جلبي **Celebi Suleyman** المتوفَّى في سنة ١٤٢٢م، وتحكي تلك القصيدة الغنائية باللغة التركية



معجزات ميلاد الرسول ﷺ ، وهي من القصائد التي تغنَّى في مناسبات عديدة في تركيا خاصة في حالات الوفاة وأيام الحداد الأربعين بعده. وتعتبر تلك القصيدة من الأشياء التي تجلب البركة؛ لأنها صيغت من عبارات قرآنية وبعض الصلوات. وبنفس تأثير تلك المقطوعة الإنشادية في الأوساط التركية التقية، عرفت الأوساط الإسلامية الأفريقية في اللغة السواحلية نفس الإنشاد ويسمَّى (إنشاد المولد). ويحتفل المسلمون في بعض البلدان الإسلامية بيوم الثاني عشر من ربيع الأول باعتباره يوم وفاة الرسول ﷺ . وقد احتفل المسلمون بالمولد النبوي الشريف لأول مرة في العصر الفاطمي، وكان الاحتفال به يتم بواسطة الإنشاد الديني وإشعال الشموع في سنة ١٢٠٧ ميلادية في أربيل بالعراق. ويحتفل المسلمون أيضًا بيوم الخامس عشر من شعبان باعتباره يوم المغفرة وبليلة الإسراء في ٢٧ من شهر رجب ويبجِّلون الأيام الأولى من شهر رجب.



الفصل السابع

الشريعة الإسلامية



القرآن الكريم والسنة النبوية هما المصدران الإسلاميان اللذان يرجع المسلمون إليهما عند حل المسائل الخلافية المتعلقة بالشرع أو بفقه العبادات. ومع انتشار الإسلام في أقاليم كثيرة حدث تنوع كبير بين الشرع الإسلامي وخاصة ما يختص بقوانين الأسرة وبين القوانين الخاصة بتلك الأقاليم وخاصة في العصر الحديث في أوروبا. وهناك أربعة مذاهب فقهية إسلامية شكلت توجهات الشرع الإسلامي وصاغت أحكامه. ويعتبر مذهب النعمان بن ثابت أبي حنيفة (٨٠ - ١٥٠ هجرية) بالعراق أقدم المذاهب الإسلامية على الإطلاق، وتميز مذهبه بالمقارنة مع غيره من الفقهاء بمساحة كبيرة سمحت بالاجتهاد والتأويل في تفسير الأحكام من أجل نفع المسلمين. وقد انتشر المذهب الحنفي بين الشعوب التركية وفي الهند.

وفي نفس الوقت مثَّل الإمامُ الفقيه مالك بن أنس في المدينة اتجاهًا شرعيًا يراعي بدقةٍ السنةَ النبويةَ التي تأسست في المدينة المنورة. وينتشر المذهب المالكي في البلدان الإسلامية الغربية خاصة. ثم لحق بالإمامين السابقين تلميذهما الإمام محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤ هجرية)، وهو الذي بدأ في تأسيس علم الشريعة الإسلامية تأسيسًا منهجيًا من خلال علم أصول الفقه. وينتشر هذا المذهب في مصر وبلاد الشام وإندونيسيا على وجه الخصوص.





أما الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هجرية) فهو يمثل التيار الملتزم بالسنة النبوية الشريفة ، وقد لعب هذا الإمام الجليل دورًا هامًا في نقد مسائل المعتزلة المتعلقة بخلق القرآن الكريم ، ويلتزم أتباع هذا المذهب الحنبلي بكلمات القرآن الكريم والسنة النبوية . وقد انتشر هذا المذهب في المملكة العربية السعودية في القرن الثامن عشر وساعد أتباعُ محمد بن عبد الوهاب أسرة الملك سعود على تقويته ونشره . ومما يميز هذه الجماعة أنها ترفض كل ما يتعلق بالصوفية وتعتبر التدخينَ من المحرمات .

وهناك تيارات أخرى اهتمت بتفسير أمور الشريعة منذ التاريخ الإسلامي الباكر غير المذاهب الأربعة السابقة . ومنها المذهب الظاهري الذي يرجع إلى محمد بن داود الظاهري (٢٥٥ - ٢٩٧ هجرية) وهو المذهب الملتزم بنص الألفاظ وظاهرها الخارجي . وكان كثير من الأدباء والمتصوفة أتباعًا للمذهب الظاهري . ولم يحدث أن توحدت جهود وآراء المذاهب الفقهية والشرعية في تيار واحد . والحقيقة أن الاختلاف بين المذاهب الشرعية يعد خلافًا طفيفًا غير ذي بالٍ . فعلى سبيل المثال إذا لامس المسلمُ يد امرأةٍ أي سلَّمَ عليها ، فهذا يوجب على المرء الوضوء من جديد وفقًا للمذهب الشافعي ، أما أبو حنيفة فلا يرى ذلك ضروريًا ويجيزه . والملاحظ أن المذاهب الدينية الأربعة في القرن الحادي عشر كانت ممثلة في المدارس





الدينية الكبيرة في العالم الإسلامي. ومن هنا نشأت أهمية مبدأ الإجماع في الأمة الإسلامية، ويعتبره الفقهاء بجانب القرآن الكريم والسنة النبوية والقياس أسسَ الشرع الإسلامي. فالفقهاء هم الذين يكفلون سيادة القرآن الكريم والسنة النبوية في الأمة. ولا يستطيع الفقهاء إلغاء العمل بنص من السنة إلا أنهم يستطيعون الحكم بأن هذا الحال لم يعد مناسبًا للعصر الراهن. وعندما يجتمع رأي الأمة الإسلامية على تطبيق شرعي فإنهم يرجعونه إلى الله ويؤسسونه على أساس الوحي الإلهي كما قال سانتيلانا. وهكذا صار العلماء (الفقهاء) حماةَ الشرع والسنة النبوية الشريفة.

والحقيقة أن الإجماع صار عمليةً خلاقةً وفتح باب الاجتهاد أمام الآراء، وهكذا وجدت الآراء المتنوعة صدًى لها في ظل الاجتهاد وصار هذا الموقف تطورًا إيجابيًا في تاريخ التشريع الإسلامي. إلا أن القرنين العاشر والحادي عشر شهدا تطورًا آخر حيث أوكل المسلمون البحث في القرآن الكريم والسنة النبوية من أجل التشريع الإسلامي إلى رجال الدين والعلماء. أما الاجتهاد فقد ظل معمولًا به من خلال إجماع آراء العلماء.

وهكذا ورث المسلمون تراثًا شرعيًا كبيرًا منذ العصور الوسطى يعبر عن حالات تطبيق الشرع ورؤى العلماء الفقهية. وقد حاول بعض العلماء المحدثين في الهند ومصر وتركيا المساهمة بآرائهم إلى جانب الإجماع المعمول به تشريعيًا.

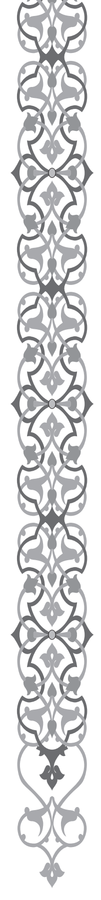


وحاولوا الاعتماد على القرآن الكريم والسنة النبوية وتأويل المصادر الإسلامية تأويلًا جديدًا يسمح لهم بتطبيقها على الأحوال الراهنة، حتى تسير حياة المسلم في إطار بنية الشريعة. ويمكننا وصف الشريعة بأنها أحكام الله التي تنظم سلوك المسلمين. ويمكننا القول إن القرآن الكريم هو وحي الشريعة الإلهية. ويعتبر علم الفقه هو العلم المختص ببحث الأمور الشرعية. ولأن الإسلام يقيم كل ملابسات الحياة في إطار ديني، فإن الشريعة تحتوي على الفروض الدينية وتنظم أسس السياسة والقانون.

وهنا يميز المشرِّع بين (فرض العين)؛ الذي يمثل الفروض الواجبة على المسلم مثل الصلاة، وبين (فرض الكفاية) الذي يمثل قيام مجموعة من الأفراد بأداء فروض دينية مثل صلاة الجنازة أو المشاركة في الجهاد الإسلامي مثل الدفاع عن المقدسات أو الوطن. وتحدد الشريعة علاوة على ذلك التكاليف الموكولة للأفراد وسن التكليف. والإقرار بشرعية الفروض أمر ضروري للمسلمين وإن لم يلتزموا ببعض الأحكام الشرعية. ومن الضروري هنا إدراك أنهم يخالفون الشريعة، ومع هذا لا يمكن اعتبارهم خارجين عن الإسلام. إن الحرص الشديد على أحكام الشريعة الإسلامية وكل ما يتعلق بها من تطبيقات عملية وتفضيله على مصطلح العقيدة الصحيحة في هذا الصدد يعد أكثر وضوحًا من عبارات العقيدة (باستثناء







الإيمـان بالوحدانية وبأن الإسلام خاتم الأديـان) وهذا ما دفع بعض المستشـرقين إلى الحديث عن التطبيق الدقيق للشريعة . والشـريعة الإسـلامية لـم تـدوَّن بشـكل مسـتقلٍّ بـل توارثها المسـلمون عبر العصور ومن خلال الاقتداء بسـلوك الرسـول ﷺ أي سنته الشـريفة . ويقوم القاضي بوظيفة تطبيق الشريعة الإسـلامية ، أما المفتي فهو من يصـدر الفتاوى ، وهي عبارة عن التأكـد من شـرعية المـواد المعروضة ، وأن تطبيقها يتناسـب مـع الحالة المطروحة للتقاضي . وقـد كانت وظيفة المفتي في العصـر العثماني ذات أهميـة قصوى فقد تولى القضاة شـئون القضـاء والحكم فـي المـدن والأقاليم التي توجـد بها مدارس شـرعية . وإلى جانب تنفيذ أحكام الشـريعة الإسـلامية يراعي المسـلمون في بعض الأقاليم البعيدة أيضًـا الأعرافَ والتقاليد المتوارثـة وهـي قوانين قديمـة . وفي سـنة ١٨٦٩م تم تدوين أحكام القانون في الشـريعة في الدولة العثمانية لأول مرة فيما سُـمي باسـم المجلة . وقد قسـمت حالات تطبيق الشريعة إلى خمس درجات هي الحالات التي تستلزم حكم الشرع والحالات التي يوصى فيها بتطبيق الشـرع وحـالات جائزة وحالات غير مرغوبة وأخرى ممنوعة . فالوضوء قبل الصلاة واجب أي يعتبر من الحالات الضرورية ، أمَّا إذا كان المقصود استخدام ماء بارد أو دافـئ في الوضـوء فيجوز الأمران . أما إذا لمس إنسـان الماء من قبل فهـذا ليس من الوضوء . وعامة يتم الحكم على الأفعال



البشرية بعبارات مثل: يجوز أو لا يجوز في إطار الشريعة.

وتعتبر الشريعة الإسلامية في موضوع حقوق المرأة بالمقارنة مع القوانين السابقة على الإسلام بمثابة خطوة إنسانية مهمة تسمح للمرأة بمزاولة حقوقها والتصرف التام في شئونها المالية. والحقيقة أن وضع المرأة لم يكن سيئًا في عصر صدر الإسلام. ومع مرور الوقت ازداد اهتمام المرأة بالمنزل وشئونه بحيث توقفت قدراتها العقلية عن النمو والاهتمام بما هو أبعد من شئون المنزل. والحقيقة أن تقوقع المرأة يقتصر على الطبقات المتوسطة في المدن، أمَّا في المناطق الريفية فتلعب المرأة دورًا هامًا حيث عليها التواجد في الحقول والقيام بالأعمال الزراعية أيضًا. وقد تأثر الطراز المعماري للمنازل في فارس بنظام حجب المرأة في المنزل، فلا تتوافر مساحة خضراء خارجية تستطيع التحرك فيها، كما يوجد باب خاص للنساء يدخلن منه للمنزل بدون أن يراهم الرجال. وبالرغم من هذا فالتاريخ الإسلامي زاخر بقصص النساء اللائي استطعن الحفاظ على استقلاليتهن ومنهن على سبيل المثال: السيدة عائشة زوج الرسول ﷺ وأم المؤمنين والمتصوفة رابعة العدوية وحاكمات الدولة الهندية بهوبال في القرن التاسع عشر.

وتحتاج المرأة إلى وكيل في حالة الزواج. ومن المألوف زواج الأقارب من أبناء الأعمام والأخوال. وتجيز بعض





المذاهب الشرعية للمرأة الطلاق من الرجل في حالات محددة (الخلع) ويسمح لها بكتابة شروطها في عقد الزواج والذي يحدد فيه أيضًا قيمة مهر الزوجة ومؤخر صداقها. أما في البلدان الإسلامية والتي يسود فيها قيم القانون المدني مثل تركيا، فإذا تم عقد الزواج بواسطة الإمام ولم يسجل في مكتب التسجيل، يستطيع الزوج وخاصة في القرى الريفية الزواج من امرأة أخرى أيضًا. أما في إيران وفي إطار الفقه الشيعي فيسمح بزواج المتعة وهو الزواج من المرأة لمدة من الوقت تحدد في وثيقة الزواج. والمرأة يجب عليها الزواج من الرجل المكافئ لها، ويسمح للرجل بالزواج من أهل الكتاب، إلا أن المرأة لا يسمح لها إلا بالزواج من المسلم فقط. وللرجل الحق في تطليق زوجته ويجوز للرجل رد زوجته إليه قبل انتهاء العدة. وتكرار الطلاق ثلاث مرات يجعله طلاقا نهائيًا ولا رجعة فيه.

والرق لم ينته تمامًا في عصر الرسول ﷺ إلا أن الإسلام يأمر بحسن معاملة العبيد، فللعبيد مثلًا الحق في الحصول على رواتبهم في حالات العجز والمرض. وعتق العبيد من الأمور التي يدعو إليها الإسلام، وللعبد الحق في شراء محل العمل الذي يعمل فيه، ولذلك فله الحق في الحصول على قدرٍ من دخل محل عمله... وقد تبوأ العبيدُ أرفع مراكز، وهذا ما نلاحظه من قراءة التاريخ الإسلامي عامة. وهذا طُبِّق في المقام الأول على العبيد المرتزقة مثل المماليك.



وفي قانون العقوبات نستطيع التمييز بين أربعة أنواع من العقوبات:

الحالة الأولى: إذا تعرض الإنسان للقتل أو التشويه وتكون عقوبة المتهم هي القتل إذا ثبت ذلك بالأدلة.

والحالة الثانية: إذا كان هناك شهود على جريمة القتل، فعلى المتهم عقوبة القصاص ودفع الدية.

والحالة الثالثة: بالنسبة لجرائم محددة هناك عقوبات مقننة على سبيل المثال قطع اليد اليمنى للسارق في جرائم السرقة.

الحالة الرابعة: يقيم القاضي العقوبات وفق تقديره الشخصي في النهاية وبحسب مقتضى الحال، ويميل القضاة إلى الرأفة في أحكامهم. وهكذا عقوبة الخيانة الزوجية للأحرار مئة جلدة وهي عقوبة مخففة، أما العقوبة القانونية[١٣] فهي الرجم بالحجارة، إلا أن هذه العقوبة تستلزم أربع شهود عيان رأوا الخيانة بالتفصيل.

ولم تكن عقوبة اغتصاب المرأة إلا عقوبة السجن، أمَّا في السنوات الأخيرة فقد عدَّل القانونُ المصري أحكامَ الاغتصاب إلى الإعدام وهذا ما يمثل رؤية إنسانية عادلة.

والجانب الهام من الشريعة هو القانون المدني الذي يحكم

(١٣) المقصود العقوبة الشرعية وهي الرجم للزاني المحصن (المتزوج) أما الجلد فهو للزاني العَزَب (غير المحصن) (المترجم).








الدولـة، وهو الجزء الخاص بالخلافة الإِسـلامية، والخليفة هو نائب الرسـول ﷺ في إمامة الصـلاة وقيادة الحرب، إلا أن هذا المنصـب لـم يكن له سـيادة دينية، وجـرت العـادةُ أن يكون الخليفة من قبيلة قريش، وهذا ما أقره أهل السنة إلا أن الخلفاء العثمانيين لم يهتموا بهذا العرف.

وقد فقد الخلفاء سـلطانهم بحلول منتصف القرن العاشـر الميـلادي. ولم يبق للخلفاء من سـلطة سـوى الدعـاء لهم في الصلاة وسـكّ أسـمائهم على العملـة. وقد تأسـسـت الخلافة الأموية في حوالي سـنة ٩٢٩ ميلادية واتسـعت دائرة سلطانها حتـى المغـرب والأندلس ومصـر، وعندمـا سـقطت الخلافة العباسية في بغداد تحت وطأة المغول في سنة ١٢٥٨ ميلادية، كتب لها البقاء والاستمرار عندما نقلها آخر الخلفاء إلى مصر. ثم اسـتمرت الخلافة الإِسـلامية في أسرة آل عثمان التركية في سـنة ١٥١٧ وأصبح مقرها في اسـتانبول. وأحسـت الأسـرة العثمانية أنها مخولة بمنصب الخلافة، ولُقب الخليفةُ في سنة ١٧٧٤ بالخليفة الأعظم أي المسـئول الأعلى للمسـلمين في العالم. وقد اكتسـب الخليفةُ عبد الحميـد الثاني هذا اللقب. وعندمـا قُضـي على نظام السـلطنة في تركيا في سـنة ١٩٢٢ بقـي منصب الخليفة كما هو إلا أنه كان مقصورًا على الشـئون الدينيـة فقط. وقد قضى كمال أتاتورك -آخرَ الأمر- على نظام الخلافـة الإِسـلامية. ولـم تنجح حركة الدعوة النشـيطة باسـم



الخلافة الإسلامية في الهند إبان الحرب العالمية الأولى.

وتهتم أحكام الشريعة الإسلامية بالمعاملات مع غير المسلمين. وهنا تسقط المزاعم القائلة بأن الإسلام انتشر بحد السيف. ويبدو للبعض أن الجهاد هو الركن السادس من أركان الإسلام. إلا أن الجهاد لا يعني الإكراه في الدين وكما قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

والرسول ﷺ هو رحمة الله إلى العالمين، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧). وقد بدأ الرسول ﷺ بالدعوة بين العرب ثم اهتم بإصلاح ما أفسده اليهود والنصارى في كتبهم المقدسة. ومن هنا بدأ الدعوةَ إلى الإسلام بينهم. وهكذا فالإسلام لا يدعو إلى الاعتداء على الآمنين مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾ (التوبة: ٢٩).

ولا يجوز قتل أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى ويتبعهم الصابئة أو دفعهم للدخول في الإسلام كرهًا، بل عليهم دفع الجزية فقط. وهكذا فعلى المسلمين حماية أرواحهم وأموالهم وهكذا نشأ مصطلح (أهل الذمة). وقد أُعفي أهل الذمة من









أداء الخدمة العسكرية. ومن هنا فعندما احتل محمد بن القاسم وادي نهر الهندوس في سنة ٧١١ / ٧١٢م اعتبر الهنودَ من أهل الكتاب، واستطاع إدارةَ أقاليم الهند الواسعة. وقد تمتع أهل الذمة بإِدارة شئون شريعتهم بصورة ذاتية، حيث أصبح رجل الدين عند جماعات الذميين هو المخوَّل بالنظر في الدعاوى وحالات النزاع بين الأفراد. وإن لم يسمح للنصارى ببناء كنائس جديدة في الأقاليم الإِسلامية حينذاك، إلا أن كنائسهم كانت تجدَّد كلما دعت الضرورة إلى ذلك.



الفصل الثامن

علم الكلام والفلسفة الإسلامية



نشأ الجدل بين المسلمين والمسيحيين وانعكس ذلك من خلال تيار أدب الجدل الديني بين المسيحية والإسلام، وقد كانت الرؤية القرآنية المتمثلة في قصة خلق عيسى بن مريم وغيرها هي الرؤية المركزية التي سادت تيار الجدل بين أتباع المسيحية وبين المسلمين، وقد أقر الإسلام أن المسيح قد وُلد بكلمةٍ من الله، إلا أنه رفض تصوير المسيح عيسى بن مريم في صورة إله، وليس إنسانًا، وقد كان المسيح هو النبي السابق مباشرة للرسول ﷺ وبينهما شبه في النشأة والحكمة، ومريم ابنة عمران -رضي الله عنها- هي أفضل أربع نساء على وجه الأرض، والقرآن الكريم يستعرض حياة المسيح بشكل مختصر يهتم بالتفاصيل والخطوط الرئيسية في رسالته، إلا أن موضوع صلب المسيح الذي أشاعته المصادر المسيحية قد رفضه القرآن الكريم وأوضحه في قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ (النساء: ١٥٧).

وهكذا لم يقبل أي مسلم اعتقاد المسيحيين القائل إن المسيح قد صلبه الرومان بمساعدة اليهود، ولم ير المسلمون أيَّة ضرورة للاعتقاد المسيحي في الخلاص من ميراث الإثم بل هي فكرة لم يعرفها الإسلام[١٤].

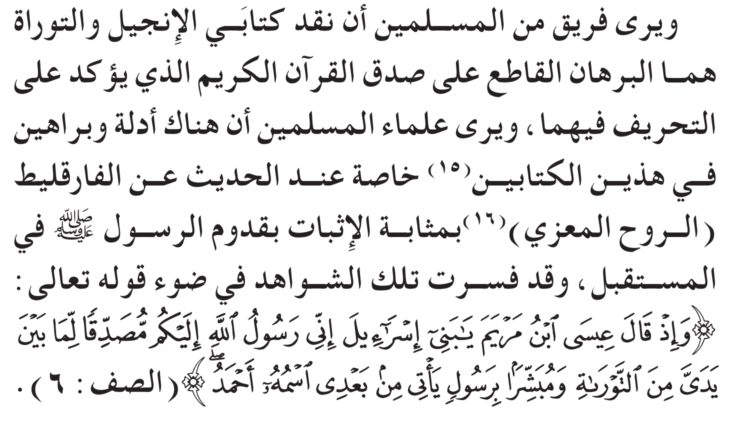
---

(١٤) وترى فرقة الأحمدية أن المسيح لم يُصلَب بل إن رجلًا آخر قد صُلب بدلًا منه، أما هو فقد ارتحل إلى كشمير وتُوفي هناك، ويوجد قبره بالقرب من مدينة سرينجار، وهكذا فإن هذه الفرقة تعتقد اعتقادًا لا يقبله المسلمون والمسيحيون على السواء، انظر:

Annemarie Schimmel,Der Islam; Eine Einfuehrung,p. 64ff



ويرى فريق من المسلمين أن نقد كتابَي الإنجيل والتوراة هما البرهان القاطع على صدق القرآن الكريم الذي يؤكد على التحريف فيهما، ويرى علماء المسلمين أن هناك أدلة وبراهين في هذين الكتابين[١٥] خاصة عند الحديث عن الفارقليط (الروح المعزي)[١٦] بمثابة الإثبات بقدوم الرسول ﷺ في المستقبل، وقد فسرت تلك الشواهد في ضوء قوله تعالى:



﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ (الصف: ٦).

أما إشكالية طبيعة المسيح والتي فرضت نفسها على عقائد الكنيسة وأدت إلى انفصال كنائس روما عن كنائس الشرق، كما كان لها تأثير كبير في احتدام الخلافات بين الكنائس الشرقية نفسها، فقد كان لها أثر ما في قضية خلق القرآن الكريم، حيث حدث تشابه بين طبيعة المسيح في الفكر المسيحي وبين طبيعة القرآن الكريم في فكر الفرق الإسلامية، وقد أثارت قضية خلق القرآن الكريم كثيرًا من الإشكاليات في إطار خلافات الفرق الإسلامية، وتعتبر قضية طبيعة القرآن الكريم من أهم الإشكاليات التي أثارت الجدل

---

(١٥) لقد أصبح الجدل بين المسلمين والمسيحيين حول مثل هذه القضايا من الأمور غير المرغوب في الخوض فيها، وإثارتها من جديد تضر ولا تنفع. (مجلة الأزهر)

(١٦) الكلمة يونانية معناها الشخص المعين خاصة في المحكمة، وقد تحول معناها إلى الإشارة إلى النبي إليا الذي يبشر بوصول المسيح في نهاية الزمان، انظر بحثنا بعنوان: الجدل الديني بين المطران إليا النصيبيني وبين الوزير أبي القاسم بن علي المغربي، مجلة الدراسات الشرقية عدد ١٩ سنة ١٩٩٧م ص٣١٧.

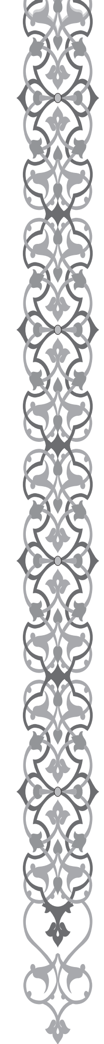




بين الفرق الإِسـلامية في بداية الأمر ؛ ومن ثم انتهت إلى بحث مسائل أخرى مثل ماهية الإِسلام سياسيًا ودينيًا .

وقد نشـأت مشـكلات في عصر صدر الإِسلام حول مسائل الإِمامة الروحية والحكم ، وهذا ما حدث بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سـفيان ، ومن هنا طرحت مسألة شروط الإِمام ، وضـرورة المصداقيـة بيـن الإِيمـان والعمل ، وقد انشـق فريق على سياسـة علي بـن أبي طالـب وعُرفوا بالخـوارج ، وهم مَنْ قالـوا إنهم لا يحتكمون إلا لكتاب الله وإلى الأعمال التي تؤكد الإِيمـان ، ومن ثم طُرحت مسـألة : إلى أي مدى يُسـمح للإِمام وقائـد الجماعـة بالتصرف بحسـب مؤهلاتـه الأخلاقية ، وهو طرح يتناول مسألة الإِيمان والعمل أساسًا ، ويؤمن الخوارج بأن الإِيمـان يمكن تعميقه في القلوب مـن خلال الأعمال الطيبة ، والسـلوكُ الظاهري فقط لا يعبر عن الطهارة بل يجب أن يقترن بسلوك داخلي يعبر عنه .

ويرى البعض أن الكبائر تُخرِج الفردَ من دائرة الإِيمان ومن هذه الكبائر : الشـرك بالله والقتلَ وممارسـة أعمال السـحر وخيانة الوطن والإِسـاءة إلى النسـاء المؤمنـات (المحصنات) ، وأكل مـال اليتامـى وغيرها ، وهكـذا فقد انفصلت بعـض الفرق عن الجماعة وانسـحبت إلى أطراف العالم الإِسـلامي ، وقد كانت السـنة النبوية هي الحد النهائي للتسـامح مع الفرق الإِسلامية كمـا ذكر هاملتون جـب **Hamilton Gibb** ، ولـم تحقق أي من تلك الفرق الحرية الكاملة التي طمح إليها أتباعها ، إلا أن تلك الفِرَق لم تكن خارجة ومعزولة تمامًا عن الأمة الإِسـلامية ، فقد







كان الهدف المنشود للجميع هو الوحدة والاجتماع على كلمة الله، وهذا يتضح في فرق مثل المرجئة وهي الفرقة التي رأت أن الله وحده هو المخوَّل بالحكم على الإنسان، ولم تكن أعمال تلك الفرقة مقياس الحكم على صلاحها، بل كانت تؤمن بأن الإيمان من الأشياء الخاصة بالقلب، ورأت تلك الفرقة أن المسلم الذي يرتكب الإثم ليس خارجًا على الإيمان ولا يستحق العذاب المستمر في الجحيم كما رأى البعض الآخر، وكان التساؤل حول مسألة حرية الإنسان وأنه يحاسب وفق أعماله من أكثر الإشكاليات الإسلامية التي أثيرت على الساحة الإسلامية، وقد استند كل فريق إلى ما يؤيد رؤيته من القرآن الكريم في قوله: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ (الشورى: ٢٠).

ونادت فرقة الجبريّة بأن كل أعمال الإنسان قد قُرِّرَتْ سلفًا، ووجدت هذه الفرقة القبول والاستحسان والدعم من الأمويين، خاصة وأن آراءها كانت تدعم السياسة الأموية، ونشأت فرقة أخرى عارضت الجبرية وهي فرقة القدريّة، وهي التي رأت أن للإنسان حريةً في بعض أعماله وأنه من هنا المسئولُ عنها، ونشأت فرقة أخرى هي المعتزلة التي تطورت عن فرقتي المرجئة والخوارج، ورأى المعتزلة آراءً أخرى؛ فعلى سبيل المثال: من ارتكب الكبائر لم تعتبره تلك الفرقة مسلمًا أو غير مسلم بل هو في منزلة بينهما.

وقد وصف بعض الباحثين المعتزلة في ذلك الحين بـ(أحرار





الفكر) . . . وقد كانت مواقفهم تعبر عن تكوينهم الديني وصدقهم في قضاياهم، وقد وقف المعتزلةُ إلى جانب القدرية في أنهم نسبوا للإنسان قدرًا معينًا من حرية الإرادة، وحاولوا حجب تأثيرات التيارات الفكرية الثنائية التي عمت فارس واستترت خلف عباءة الإسلام، وقد أدركوا دور العقل الحاسم في الحوار والجدل، أما المجهودات التي قام بها المعتزلة فيما بين القرنين الثامن والعاشر، فقد كانت غايةً في الأهمية وكانت ضرورية حيث إنها ناقشت أسس العقيدة مناقشةً فلسفيةً، وفي إطار أشكال مقبولة، وقد كان تيار الثنوية الإيرانية من أخطر ما تعرض له الفكر الإسلامي في العصر العباسي، وشهدت السنوات ٧٨٣ وحتى ٧٨٦ اضطهادًا عنيفًا للزنادقة والمانوية وأعمال السحر؛ ولذلك فقد اهتم المعتزلةُ بوضع تصور شديد الدقة للوحدانية في الإسلام، وأكدوا أن الله لا شبيه له من بين مخلوقاته، على عكس تفسير المدرسة الظاهرية التي اهتمت بتفسير القرآن الكريم تفسيرًا ظاهريًا بحسب حرفية المعاني، فكل الآيات الدالة على التشبيه بالأفعال الإنسانية مثل (استوى على العرش) (الأعراف: ٥٤) ومثل (سميع) في قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال: ١٧).

وغيرها من الآيات تفسر تفسيرًا مجازيًا وفق رأي المعتزلة، فلا يوجد إلى جانب الله شيء باق، وهذا تأكيد على وحدانيته، وأدَّى هذا التحديد إلى اعتبار سمع الله وكلام الله لا يعبر عن



الأزلية، وبالتالي فإن القرآن الكريم هو كلمة الله المخلوقة وليس أزليًا، ونتيجة لتلك الفرضيات الاعتزالية فقد احتدم الجدال بينهم وبين أهل السنة والجماعة.

أما الرؤية الهامة الأخرى التي عبَّر عنها المعتزلةُ فهي العدل الإلهي، فالله عادل في أحكامه بالضرورة، وهو لا يمكن أن يبدل الإنسان شرًا بدل الخير، وقد اعتبر الخليفة المأمون الفكر الاعتزالي فكرًا رسميًا للدولة في سنة ٨٢٧، وهكذا استمر الحال في ظل اثنين من الخلفاء من بعده، وقد اضطهد المأمون رأي أهل السنة والجماعة وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل، نظرًا لأنهم قد حقروا تقوى الطبقات الشعبية وقالوا إن المعتزلة لم يستطيعوا تفهُّم العقائد، وحدث في عهد الخليفة المتوكل بالله (٢٠٦ - ٢٤٧هـ) أن تهاوت رُؤى المعتزلة وحُرِّم الاعتقادُ في أن القرآن الكريم مخلوق وليس أزليًا، وقد هدأت حدة الجدال بين أهل السنة والجماعة وبين المعتزلة إلى حدٍّ ما بواسطة الإمام الأشعري (المتوفى في سنة ٩٣٥م) والذى كان قد انفصل عن المعتزلة، وقد مارست المدرسة الأشعرية مبادئ الفكر المدرسي بين طبقات الشعب، وقد قام الإمام الماتريدي (المتوفى ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م) بدور مماثل في الشرق، أما الاعتقاد في أن القرآن الكريم غير مخلوق فقد ساد في الفكر الإسلامي، وكانت الرؤية التوفيقية بين التيارين السابقين أن كلام الله (القرآن الكريم) غير مخلوق، أمَّا كلام البشر فهو مخلوق، وكان الفكر الأشعري يُعتبر مذهبًا تقليديًا في إطار علم الكلام، وخلاصة فكر الأشعرية أن الله لا يمكن إدراكه وفق



معايير التصنيف البشرية، فما ذكر في القرآن الكريم عن يد الله ووجهه؛ وغير ذلك على سبيل المثال، لا يمكن للإنسان أن يفهمه بشكل حُرٍّ أو غير حُرٍّ، بل هو تعبير عن أفعال الله وقدرته.

وقد نشأ عن فكر أهل السنة والجماعة اعتبارات دينية وسياسية جديدة لا مناص منها وهي التحديد الشكلي الحازم للإيمان وتخريج المصطلحات تخريجًا محددًا، ما زالت أسس هذا الفكر من مكونات تفكير المسلم، وهذا ما يجعل الحوار بين المسلم وبين الأوروبي الغريب عنه من الأمور الحرجة والصعبة، إذا تعلق الأمرُ بالبرهنة بالعقل على الإيمان(١٧)، إن الإيمان -وهو أساس الإسلام- معناه أن يؤمن الفرد بالتوحيد ورسالة الرسول محمد ﷺ وهو لا يزال فكرَ الأئمة حتى اليوم وهو مؤسَّس على قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ (البقرة: ٢٨٥).

والإيمان بالرسول ﷺ يتضمن الإيمانَ بسائر الأنبياء والمرسلين منذ آدم ووصولًا إلى إبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام، والقرآن الكريم يذكر الأنبياء قبل

(١٧) لا نتفق مع رأي المؤلفة، ونرى أن حوار المسلم والأوروبي حول الأديان عامًا يكون من منظور مختلف، فالمسلم غالبًا ما يعتبر الدين مكونًا أساسيًا من مكونات شخصيته ووجوده، بل يعتبره أساسًا هامًا من أسس هويته، عملا بالمبدأ الإسلامي «الإسلام دين ودنيا» (المترجم).



الرسول ﷺ بشكل إجمالي وليس بالتفصيل، ومن هنا لا يمكن للمسلم اعتبارُ بوذا وكونفوشيوش من الأنبياء، وتقتصر الكتب السماوية كما ذكر القرآن الكريم على التوراة والزبور (المزامير) والإنجيل والقرآن الكريم[١٨].

والإيمان بالملائكة يلعب دورًا هامًا في علم الكلام الإسلامي ونجد له ما يدعمه في القرآن الكريم، كما أن له دورًا مهمًا في عقائد الشعب، ويمثل الملَك جبريل أهم وظيفة بين الملائكة أجمعين باعتباره الروح الأمين أيضًا، وهو الذي أوحى للرسول ﷺ بآيات القرآن الكريم، وللملَك ميكائيل إلى جانب جبريل أهمية أيضًا، وللملَك إسرافيل نفس الدرجة من الأهمية، وهو أول من يُبعَث يوم القيامة لكي ينفخ في البوق، ويعتبر الملاك عزرائيل[١٩] هو المخيف بين الملائكة؛ لأنه ملاك الموت، وله سطوة على الأرض فله أجنحة كثيرة وأربعة آلاف لسان وعين فهو الذي يقبض الروح بقسوة عن الإنسان إذا كان المتوفَّى من غير المؤمنين ما دامت ساعتُه قد حانت كما في اللوح المحفوظ، أما المؤمنون فهو ليِّن معهم، ويقال إن الإنسان في القبر يأتيه الملكان منكر ونكير[٢٠] يمتحنان إيمانه ويعاقبانه إذا دعت الضرورة إلى ذلك، حتى يجيب المتوفَّى على أسئلتهما بالإجابة الصحيحة؛ ولذا فإن أهل المتوفَّى يردِّدون

(١٨) الحصر المذكور غير شامل؛ فالقرآن ذكر أيضا (صحف إبراهيم) (المجلة).
(١٩) ذكر القرآن الصفة ولم يعين بالاسم حيث قال: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾.
(٢٠) كذا في الأصل الألماني (المترجم)، والوارد في السنة الصحيحة الأوصاف لا الأسماء والوصف الوارد الملكان الموكلان بالسؤال.





عبارات التوحيد أمام المتوفَّى في ساعاته الأخيرة وعند نزوله إلى القبر، والإنسان تحرسه الملائكة في الحياة أيضًا، وهناك من يقولون إن الملائكة حُراس البشر هما اثنان ويقول البعض هم أربعة حراس وربما أكثر، ويجلس ملكان عن يمين الإنسان وعن شماله، ويسجلان أعماله الطيبة، وكذلك السيئة ما دام لم يندم عليها، وإلى جانب وظيفة الملائكة وهي حماية البشر، فإن هناك عددًا منهم لا يشغلهم شيء سوى ذكر الله وتسبيحه في السماوات الأربع التي تحمل العرش الإلهي.

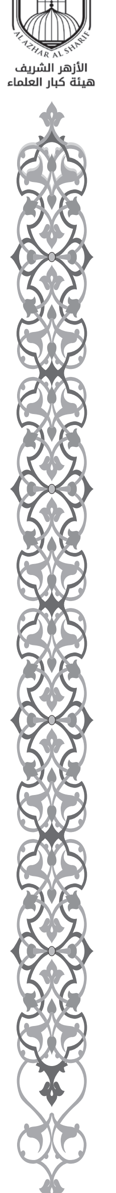
وقد امتنع الرسول ﷺ عن الحديث عن جنس الملائكة، واعترض على وصف أهل مكة لهم بأنهم بنات الله، وهناك رؤية عامة تقول إن الملائكة قد خُلقوا من النور وتكويناتُهم تتأسس من عناصر غير قابلة للفساد، والملائكةُ لا تعلم إلا ما يريد الله لها أن تعلمه، وليس لهم أية إمكانية للرقيّ المعرفي ذاتيًا، وإلى جانب الإيمان بالملائكة هناك الإيمان بالأرواح أي الجن وليس لها شكل محدَّد، وقد عرف العرب الجن قبل الإسلام باعتبارهم أرواح الطبيعة ومصدر إلهام للشعراء والمفكرين، وهم من يسببون الجنون، وينتمي إلى الجن ما أسماه العرب بأرواح الصحراء وهم الغِيلان، ويعترف القرآن الكريم بوجود الجن وعلاقات الزواج الممكنة مع البشر(٢١).

أما إبليس وهو الشيطان، فهو أحد الملائكة الساقطين في

---

(٢١) حديث القرآن عن الجن صحيح وفيه سورة تحمل اسم الجن.. أما موضوع الزواج بالجن فلم يرد في القرآن أي نص عليه، ولكنه من أقوال بعض الفقهاء.





الخطيئة ؛ لأنه قد عصى الأمرَ الإلهيَّ بالسجود لآدم وتبجيله(٢٢)، ولذلك فقد طرد من السماء، وعصيانُ الشيطان للأمر الإلهي يرجع غالبًا إلى كبريائه وتعاليه، فقد خدم الله منذ الأزل، ولأنه مخلوق من النار، أمَّا آدم فقد خلقه الله من الطين(٢٣)، ويظهر إبليس دائمًا كما يراه الإنسان، فهو عدو البشر، ويزن الله أعمالَ البشر في يوم القيامة، وقد يؤتَى الإنسانُ كتابَ أعماله بيمينه أو بشماله، ويقف البشرُ استعدادًا للسير على الصراط وهو الفاصل بين الجنة والجحيم وهو صراطٌ أحدُّ من نصل السيف وهو رقيق إلى درجة كبيرة مثل شعرة الرأس، ولا يستطيع الكافرون السير عليه وتزل أقدامهم من فوقه ويسقطون في النار، أما المؤمنون فيمشون عليه بثبات ويصلون إلى موطنهم وهو الفردوس الأعلى، وهناك تكون الدَّينونة حيث يلقى كل إنسان جزاء عمله، بعضهم يحاسبون بشدة، وبعضهم يشفع فيهم، والشهداء لا يحاسبون في المقام الأول ويدخلون الفردوس جزاءً على أعمالهم، ويسأل الله كلَّ نبي عن رسالته، ويسأل الكافرين عن كفرهم بالرسالات ثم يسأل المسلمين عن أعمالهم أيضًا، ويُعفَى الموحدون من دخول النار، بعد أن

---

(٢٢) كون إبليس أحد الملائكة يؤكده استكباره عن طاعة الأمر بالسجود لآدم في قوله تعالى: ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ أما الآية القرآنية: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ فيفسرها كثيرون بأن الجن هو كل ما جن (كل ما استتر فلا يُرى)، وهذا لا يناقض كونَه من الملائكة.

(٢٣) ورأى بعض الصوفية أن عصيان الشيطان يرجع إلى (التزامه) بالتوحيد ورفضه تبجيل أي شيء إلى جانب الله الواحد الأحد، وهكذا رأت مدرسة الحلَّاج الصوفية، انظر: Annemarie Schimmel,Der Islam; Eine Einfuehrung,p. 76ff



يعاقَبوا على آثامهم بحيث لا يبقى أيُّ موحِّدٍ في النار، ويُسأَل الأنبياءُ الشفاعةَ من أجل الآثمين ثم يسأل الأئمة لنفس الغرض من بعدهم، أمَّا من ليس له شفيع، فسوف يخرج من رحمة الله ويُطرَح في النار، ومن يملك مثقال ذرة من إيمانٍ في قلبه فقد عصمه الله من عذاب الجحيم، وترد آيات كثيرة عن مشاهد الجنة والنار في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ (هود: ١٠٨)...

وقد تباينت آراء بعض المذاهب الإسلامية حول الخلود في النار، فقد رأى المعتزلةُ أن العدل الإلهي يتبلور في حقيقة الثواب والعقاب، أمَّا الأشعرية فقد عارضوهم ورأوا ذلك يتعارض مع رحمة الله التي يمن بها على العباد، ورأى أبو حنيفة أن الجنة والنار من الحقائق الثابتة، أما الإمام القطب القسطلاني (٦١٤ - ٦٨٦هـ) فقد أكد على تغير كل شيء وزواله سوى الله مصداقًا لقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن: ٢٦، ٢٧).

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصص: ٨٨).

ثم تبنت معظمُ الآراء القولَ بالشفاعة وأن الرسول الكريم سيشفع للمسلمين يوم القيامة، والحق أن كثيرًا من رجال الصوفية والفلاسفة قد دعموا ونشروا الرؤى الخاصة بالنعيم في الآخرة والتي وجدوا أنها تلقى قبولًا حسنًا وتُعين على رفع



الـروح المعنوية للأمة، وقد زخر التراث الإسـلامي بمناظرات أتبـاع المذاهـب الفقهيـة في القرنين العاشـر والحادي عشـر الميلاديين، نجد هـذا على سـبيل المثال في مؤلفـات الإمام الأشعري والإمام ابن حزم الأندلسي (المتوفى في سنة ١٠٤٦م) والإمـام الشهرسـتاني (المتوفى فـي سـنة ١١٥٣ ميلادية)، وقـد اهتم الإمـام البيرونـي الخوارزمي (٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م) بالإسـلام في الهند وقد كتب كتابًا هامًـا عن ذلك(٢٤)، ويعتبر الإمام البيروني -بحقٍّ- أحد أهم ممثلي العلوم الإسـلامية التي ازدهرت في القرن التاسـع الميلادي وانتشـرت ظلالها الوارفة في ربوع الدنيا.

وقد تطورت الفلسـفة الإسـلامية بتأثير من الفكر الفلسفي اليوناني كما هو مألوف في إطار التبادل الثقافي بين الحضارات المختلفة، وقد بذل المعتزلة جهودًا ملموسـة في هذا المجال، ويعتبر المفكر الإسلامي الكبير أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بـن الصباح الكنـدي (٢٦٠هـ/ ٨٧٣م) أحد رمـوز هذا التيار الفكـري، وقـد كان الكنـدي أحد علمـاء الطبيعـة، وكان من

(٢٤) ألف الإمام محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي عدة كتب مهمة وهي: (الآثار الباقية عن القرون الخالية) و(الاستيعاب في صنعة الإسطرلاب) و(الجماهر في معرفة الجواهر) و(تاريخ الأمم الشرقية) و(القانون المسعودي) و(تاريخ الهند) و(الإرشاد) و(تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن)، انظر عن مؤلفات البيروني: خير الدين الزركلي، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الطبعة الخامسة، الجزء الخامس، بيروت ١٩٨٠م، ص٣١٤ وما بعدها.





المهتمين بالحكمة والمعرفة، ولا شك أنه تأثَّر بالأفلاطونية المحدثة التي كانت مزدهرة في الشرق العربي آنذاك، وكان منٍ الأمور المتعارف عليها بين التيارات الفلسفية أن هناك اتفاقًا فكريًا بين أفلاطون وأرسطو، وقد انعكس ذلك في شرح أبي نصر الفارابي (٢٦٠ - ٣٣٩هـ) لأعمال أرسطو، وقد أكد الفارابي في مناسبات عديدة على الاتفاق الظاهر بين الفلسفة والوحي، وأن رسالة الإسلام تكمن في الاتفاق بين العقل وبين الدين، أما الفيلسوف أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا (٣٧٠ - ٤٢٨هـ)؛ وهو الطبيب والفيلسوف، فقد كان معلمًا لمفكري أوروبا وقد صاغ آراءَ الفارابي وخاصة القول بمبدأ وحدة الوجود وأن الله يشمل كل الوجود.

وكان الإمام الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥هـ) من معارضي الآراء السابقة التي تنادي بخلود الوجود، وعبَّر الغزالي عن آراء أهل السنة في القول بالمسئولية الفردية للبشر عن خطاياهم، وقد واجهت آراءُ ابن سينا معارضةً من رجال الصوفية، ونحن نلمس بوضوحٍ آثارَ التعارض بين الفلسفة وبين الوحي الإلهي في قصة حي بنٍ يقظان لابن طفيل (٤٩٤ - ٥٨١هـ)، الوزير وطبيب القصر الملكي في بلاط الموحدين في المغرب، وتعكس تلك القصة نمو طفل نشأ في جزيرة منعزلة، حيث بلغ المقدرةَ على الرؤية الثاقبة في سن السابعة من عمره، وقد تبع ابن طفيل في بلاط الموحدين المفكر ابن رشد (٥٢٠ - ٥٩٥هـ)، وسار على منهج السابقين في القول بالاتفاق بين الفلسفة والوحي، وقد أكد ابن رشد على أن الفلسفة تؤكد وتدعم البراهين



العقلية للنبوة بشكل كبير، ويعتبر ابن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨هـ) من أشهر المفكرين المسلمين وهو من لُقِّب بين المسلمين والأوروبيين بحق بلقب أول علماء الاجتماع في الشرق والغرب، وقد كان المبدأ الأساسي لابن خلدون هو فكرة العصبية أو التوحُّد الفكري للجماعة الواحدة، وهي -بحقٍّ- من المبادئ الاجتماعية النفسية الهامة في ترابط الجماعات البشرية، وتيسر تلك الفكرة النصر الممكن للأمة الواحدة المتوحدة من خلال رؤية إيمانية عميقة.

وتصور موسوعة ابن خلدون المعرفية (كتاب مقدمة ابن خلدون لكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، كيف تتطور الدول بعد أجيال ثلاثة وتصل إلى ذروة التقدم والازدهار ثم يلحقها الضعف ويدب فيها الفساد، وكيف تنشأ على أثرها دول أخرى فتية تنمو وتتطور على نفس المنوال، وتمثل تلك المبادئ حقائق هامة اعتُبرت من العلامات المضيئة في تاريخ الحضارة الإسلامية والإنسانية، وقد لعبت علومُ الطب والطبيعة دورًا رائدًا في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في العصور الوسطى؛ ولهذا فإن المعارف والعلوم الإسلامية ما زالت تحظى باهتمام وتقدير عالميين؛ لأنها طورت الفكر اليوناني العقلي والطبيعي وساهمت بذلك في بناء الحضارة الإنسانية الحديثة، والحديث عن النهضة الإسلامية العقلية والعلمية يشمل الحديثَ عن تاريخ تطور علوم الحساب والجبر وعلوم الطبيعة والطب والفلك إلى غير ذلك، ومؤلفات





المفكر ابن سينا كانت حتى وقت قريب من أوائل المناهج الدراسية التعليمية في أوروبا. والحق أننا نستطيع القول إن أوروبا سعدت وحظيت بتراث إنساني راقٍ تمثَّل في علوم المسلمين، وقد تنوعت مجالاتُ هذا التراث المعرفي من علوم الطبيعة والكيمياء والطب والجبر والحساب وعلوم طبيعة وشكل الأرض، وقد بلغت النهضة الأوروبية العلمية غايات بعيدة وتفوقت بذلك على الشرق بفضل التراث العلمي الإسلامي، وينادي الإصلاحيون والمفكرون المسلمون اليوم بضرورة البدء في إحياء تلك النهضة العلمية والمعرفية من حيث توقفت في العصور الوسطى واستكمال تاريخ تطورها من أجل نهضة الدول الإسلامية.



الفصل التاسع

الشيعة والمذاهب الإسلامية



انتهت معركة صفين إلى تطورات انعكس أثرها على انقسام المذاهب الإسلامية إلى مذهبين رئيسيين هما الشيعة وأهل السنة، ... ويؤمن الشيعة مثل سائر المسلمين بالله الواحد ورسالة الرسول ﷺ، إلا أنهم يؤمنون بالإمام باعتباره القائد الشرعي للأمة، ويقولون إن الإمام علي بن أبي طالب قد وَكَلَ إليه الرسولُ ﷺ بهذه المهمة قبل وفاته مباشرة، وهكذا تتوالى الإمامة في أسرة علي بن أبي طالب من بعده، وقد أصبح الإمام علي بن أبي طالب هو البطل الهمام في التقاليد النقلية الشيعية، وشاعت قصص كثيرة حول سيفه المسلول الذي اقتص من أعداء المؤمنين، وكيف استطاع الإمام شرح العقيدة حتى ترسَّخ الإيمان في نفوس المسلمين، وقد شاعت القصص الكثيرة حول معجزات الإمام علي -رضى الله عنه، كما نسبت إليه أحاديث كثيرة ومن هنا أصبح علي بن أبي طالب (ولي الله) بالنسبة للشيعة، وقد أضافوا هذه الجملة إلى نص الشهادة، وقد حكى الشيعة حكايات كثيرة عن الرغبة في الشهادة وحب الجهاد عند مقتل الحسين بن علي في معركة كربلاء في العاشر من شهر محرم في سنة ٦٨٠ ميلادية، وقد قرض الشعراء الكثير من قصائد الحزن على مقتله، وقد تنامى شعور الشيعة بالاضطهاد بعد ذلك، ومن المثير أن التعاليم الشيعية لم تنسب إلى الإمام علي مباشرة أو ابنيه الحسن والحسين من السيدة فاطمة ابنة الرسول ﷺ رضى الله عنهم، بل لقد نسبت إلى الإمام محمد بن الحنفية (٢١ ـ ٨١) هجرية، وهو أخ غير شقيق لهما، وقد خرج أحد أتباعه ويدعى المختار بن



أبي عبيد الثقفي (١ - ٦٧) هجرية، وزعم أن الإمام محمد بن الحنفية لم يمت بل يحيا متخفيًا في الجبال وسوف يأتي في آخر الزمان باعتباره المهدي المنتظر لكي يقيم العدل في شتى بقاع الأرض، وقد اكتسب أتباع آل البيت القداسة من بعد الإمام محمد بن الحنفية، وأصبح هناك إيمان بالأئمة الخمسة والسبعة والاثنا عشرية، وقد اهتم الشيعة بالإمام التالي بعد مقتل الحسين بن علي في كربلاء.

وقد اكتسب ابنه زين العابدين (٣٨ - ٩٤)[٢٥] وأبناؤه من بعده تلك القداسة وخاصة ابنه زيد؛ وهو الإمام الخامس في سلسلة الأئمة منذ الإمام علي بن أبي طالب، وتنتسب الطائفة الزيدية إلى الإمام زيد بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (٧٩ - ١٢٢) هجرية، وهي طائفة تقترب كثيرا من أهل السنة ولا يهتم أتباع الزيدية ما إذا كان الإمام من خلفاء الحسن أو الحسين، وحتى وقت قريب كانت الطائفة الزيدية موجودة ومستقرة في اليمن، إلا أن بقية الشيعة لا يعترفون بإمامة زيد ابن زين العابدين ويعترفون فقط بإمامة أخيه محمد الباقر (٥٧ - ١١٤)[٢٦]، ويعتبرون ابنه جعفر الصادق (٨٠ -

(٢٥) عرف زين العابدين بن الحسين باسم (علي الأصغر) تمييزا له عن أخيه علي بن الحسين المعروف باسم (علي الأكبر)، انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربيين والمستشرقين، الطبعة الخامسة الجزء الرابع، بيروت ١٩٨٠، ص ٢٧٧.

(٢٦) هو سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، وكانت له منزلة رفيعة في العلم، انظر: المرجع السابق، الجزء الثاني، ص ١٢٦.



١٤٨) مؤسس الإمامة الشيعية الاثنا عشرية ومدرستها الفقهية وهى المدرسة التى لعبت دورا كبيرا في تطور الفكر الصوفي، وينقسم الشيعة إلى فرق متباينة حول أبناء الإمام جعفر أيضًا، ففى حين يعتبر الشيعة الاثنا عشرية في إيران الإمام موسى الكاظم (١٢٨ - ١٨٣) ضمن الأئمة الاثنا عشر ويعتبرونه ابن الإمام محمد المهدي (المتوفى في سنة ٨٧٤ هجرية)، إلا أن فرقة الأئمة السبعة يعترفون بإمامة موسى الكاظم أخي الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق (١٤٣ - ٧٦٠) ولذا يعرفون باسم (الشيعة الإسماعيلية)، ويعتبر مذهب الشيعة الاثنا عشرية المذهب الرسمي في إيران منذ سنة ١٥٠١ ميلادية، وهم يؤمنون بعقيدة الإمام المستور الذي سيظهر في نهاية الزمن.

ونحن نرى أن الشيعة لا ينكرون السنة النبوية والتي تعتبر من أسس عقيدة أهل السنة، إلا أنهم يقدسون التراث النقلي لآل البيت، وهناك تقارب ما بين الشيعة الاثنا عشرية والمعتزلة، وتعتبر الاثنا عشرية فرقة محافظة أكثر من أهل السنة، وهم يعتبرون غير المسلمين من الكفار إلا أنهم يسمحون بالزواج منهم زواج المتعة لمدة محدودة فقط، وهم يؤمنون أن في الإمام قبسًا من النور الإلهي وهم الورثة الشرعيون له، إلا أن هناك أسئلة مازالت مطروحة في انتظار إجابات قاطعة وهي على سبيل المثال : كيف يرث الابن النور من أبيه الإمام؟ وهل يرث الابن الأكبر هذا الإرث دون إخوته؟ وتعتبر مقابر الأئمة الشيعة في كربلاء والنجف في البصرة بجنوب العراق وفي مدينة قُمّ



الإيرانيــة مــن أكثر المزارات الدينية للشــيعة، وقــد امتد تأثير الفكر الشيعي إلى الهند وكان له تأثير كبير على أسلوب الحياة والأدب، كما أن الشيعة في باكستان يشكلون قسمًا لا بأس به من عدد الســكان، وقد شكلت فرقة الأئمة السبعة التي تعترف بالأئمــة الســبعة وآخرهم إســماعيل بن جعفر الصــادق فقط، خطــرًا كبيرًا على أمن العالم الإســلامي في العصور الوســطى. وقد بدأ القرامطة؛ وهم إحدى فرق الشــيعة الإســماعيلية نسبة إلــى حمدان قرمــط (٢٩٣ - ٩٠٦)[٢٧]، الدعاية لمذهبهم في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وقد شكلت الكوفة مركز دعوتهم في الصحراء العربية، وقد تمكنوا في سنة ٩٣٠ من الاســتيلاء على الحجر الأســود من الكعبة الشريفة واستمر الحــال هكــذا حتــى أعــادوه إلــى مكانه ثانيــة بعــد ٢٢ عاما، ويؤمــن القرامطــة بإمكانية الوصول إلى معرفــة الله بعد التدرج فــي درجــات العرفان، وهم يربطــون بذلك بين أســس العقيدة الإســلامية وبين الفلســفة الأفلاطونية المحدثة، إذ يؤمنون بأن الإنســان عالم صغير يتمثل فيه العالــم الكبير (الكون)، وأن فهــم العالــم ينتقل من الفيــض الإلهى إلى عالم الإنســان، وهم يعتبــرون الآخــرة نهايــة تأثير عالــم المادة على الإنســان وهو نتيجــة التغير الــذي يصيب الأرض في النهايــة، فيعيش الأبرار

(٢٧) قرمط رأس القرامطة من الباطنية، وإليه نسبتهم، وقد اختلف في اسمه وأصله، وقيل اسمه (حمدان) أو(الفرج بن عثمان) أو (الفرج بن يحيى)، انظر المرجع السابق، الجزء الخامس، ص ١٩٤.



في عوالم صافية طاهرة أما الأشرار فيشقون في عوالم المادة والتي تدور في فلك القمر، ومن المعروف أن هذه الفرقة لا تفسر القرآن الكريم تفسيرا حرفيا بل يهتمون بالمعاني الخافية ولذا يعرف القرامطة بالفرقة الباطنية، أي المهتمون بالمعاني الباطنية لأنهم ينهجون منهجًا تأويليًا عسيرًا ومعقدا من أجل فهم معاني القرآن الكريم، ويعتبر الأديب الفارسي ناصري خسرو (المتوفى في سنة ١٠٧٢ ميلادية) أكبر ممثل للفلسفة الإسماعيلية، وقد نشأ عن التيارات الإسماعيلية حركة الفاطميين، الذين داهموا العالم الإسلامي من المغرب في مطلع القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، وقد احتلوا مصر قلب العالم الإسلامى وكونوا فيها دولة قوية وغنية في سنة ٩٦٩ واستمر حكمهم فيها حوالي مئتي سنة، وقد اشتهر الحاكم بأمر الله (٣٧٥ - ٤١١) هجرية من بين الخلفاء الفاطميين، وبعدما اعتبره أتباعه إلها في سنة ١٠١٧ اختفى في سنة ١٠٢١ ومازال حادث اختفائه يشكل غموضا كبيرا للباحثين في التاريخ الإسلامي، وقد شكلت تلك الحادثة دافعا قويا للدعاية والتي تتمثل بشكل واضح في مؤلفات الكاتب الفارسي حمزة إسماعيل الدرزي، وتعتبر فرقة الدروز في لبنان وحران حتى اليوم هى الفرقة الشيعية الباقية التى تؤمن بعودة الحاكم بأمر الله.

وتتمثل أخلاق الشيعة بوضوح في عقيدة الدروز، وقد انقسم الفاطميون على أنفسهم بعد وفاة الخليفة المستنصر



بالله (٤٢٠ ـ ٤٨٧) هجرية، وقد استخلف المصريون ابنه المستعلي بالله (٤٦٧ ـ ٤٩٥) هجرية من بعده، وقد هرب وريث العرش الرسمي نزار وابنه ولجئوا إلى فرقة الإسماعيلية في جبال الموت، ومن هناك نشطت حركة الاغتيالات السياسية التى مارسها أتباعهم.

وقد لعب الإسماعيليون دورا هاما في الدفاع عن الإسلام ضد الصليبيين وكان مركزهم آنذاك في سوريا الشمالية، إلا أن مركز الحركة في جبل الموت قد تعرض لهجمات المغول في سنة ١٢٥٦ ميلادية كما سقط مركزهم في شمال سوريا في أيدي المماليك في سنة ١٢٧٢م.

وقد انتشر القرامطة أتباع المستعلي في اليمن وقاموا من هناك بنشر آراء الفرقة في كجرات، كما انتشر أتباع نزار في السّند، وربما أدخل القرامطة بعض الأفكار الخاصة بالسيخ والهندوس من أجل نشر أفكارهم بين سكان الهند والبنجاب.

وقد كان أغاخان هو المسئول عن الإسماعيلية الهنود الذين انتشروا من إيران في سنة ١٨٣٩م، وقد عمل السلطان محمد أغاخان الثالث طيلة سنوات حكمه الستين على تحديث فرقة الإسماعيلية لكي تظهر بمظهر عصري في بومباي والباكستان، وقد هاجر بعض أتباع الفرقة إلى شرق أفريقيا أيضا، ومع تغير الظروف السياسية في العالم، استطاع كثير من أتباع أغاخان الإسماعيليون الاستقرار في بلدان غربية مثل كندا والولايات







المتحـدة وإنجلترا والبرتغال، وهـم يعتبرون أغاخان هو الإمام الحالي لهم.

أما أتباع المسـتعلي الذين يسـمون إمامهم (سيدنا)، فقد سموا باسم (البُهْرَة)، وهم فرقة ذات نفوذ كبير بين المسلمين الهنود، وكان منهم بعض مفكري الهند المشـهورين من أمثال آصـف فيضـي (A. Fyzee)، وهـو الذي نشـر كتـاب القاضي النعمان الفاطمي (المتوفى في سنة ٩٧٤) (دعائم الإسلام)، وهـو مصـدر الشـريعة لطائفـة البهرة الهنـود، كمـا أنه ألف تفسـيرًا للقرآن الكريـم[٢٨]، ومنهم أيضا بـدر الدين الطيبي وهـو أول مسـلم يتولى رئاسـة حزب مجلس الشـعب الهندي ومنهم أيضـا الأديب الكبير محمد إقبال، ولا ننسـى مهندس السياسة الباكسـتانية محمد على جناح الذي ينتمي إلى أسرة إسماعيلية كبيرة.

وفى نهاية القرن الرابع عشـر نشـأت فرقة جديدة أسسـها فضل الله الاسـترابادى، وتربط هذه الفرقة بين الفكر الشـيعي وبين نوع من التعاليم يشـبه تعاليم الزهد اليهودية، وتسـمت هـذه الفرقة باسـم (فرقة الحروفية) لأنها تهتـم اهتماما كبيرا بتفسير الحروف والأعداد وتأثيرها ودلالاتها الدينية، وهذا ما

(٢٨) انظر عن حياة القاضي النعمان ومؤلفاته:
Ulrich Haarmann, Geschichte der arabischen Welt, Verlag C. Beck Muenchen 1987, p. 177ff





نألفه في المذاهب الصوفية بشكل عام، ومازال أتباع تلك الفرقة يعيشون في تركيا ويسمون بالدراويش وخاصة بين الأتراك البكتاشية وهم ذوو ميول شيعية واضحة، وتلتف تلك الفرقة حول الاهتمام بآل البيت وكثيرا ما نظمت الأناشيد والمدائح في اسم الإمام علي بن أبي طالب، أو تنظم القصائد التى تلتقى حول حروف الاسم (علي)، وهذا ما يسمى بتسجيع القصيدة بحروف الأبجدية، وقد كان الشاعر التركي نسيمي (المتوفى في سنة ١٤١٧) أهم ممثلي تلك الفرقة، وقد تلاقت بعض ميول الفرقة الحروفية مؤخرًا مع الجفر وهم من يزعمون معرفة بأسرار الحروف في تراكيب فنية من الحروف والقيم العددية للآيات القرآنية والتي تفيد في استشراف المستقبل والتنبؤ به.

ومن الأمور الأساسية التي يلتقي الشيعة عليها رفضُ الخلفاء الراشدين الثلاثة أبو بكر وعمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان، ومن المثير أن الشيعة لا يستخدمون أياً من تلك الأسماء في مناطقهم ... إلا أن فرقة الزيدية هي الفرقة الشيعية الوحيدة التي لا تعترض على أولئك الخلفاء.

وقد تطور عن الشيعة في إيران تيار جديد يستند على آراء المدارس الدينية السابقة، وتسمى تلك التيارات (البابية)، وقد عرفوا بهذا الاسم لأن مؤسسها وهو محمد علي التبريزي (١٢٣٥ - ١٢٦٦) الذي لقب بالباب في سنة ١٨٢٦م،



والمقصـود من اللقب أنه البـاب الذي يلج المؤمنـون منه إلى الله، وقـد شـهدت إيران ملاحقـات عنيفة للفرقـة البابية، وقد أعـدم الإمـام (الباب) وأخلص أتباعه ومنهم الشـاعرة الشـابة (طاهرة)، ويمثل العدد تسـعة عشرة أهمية كبيرة عند الشيعة البابيـة لأن القيمـة العدديـة للرقم ١ تتضح مـن خلاله، أي أنه يعبر تعبيرا واضحا على التوحيد، وقد نشـأت فرقة جديدة عن الشـيعة البابية تعرف باسـم البهائية، ويمكننا تشبيه علاقتها بالإسـلام بأنها مثل علاقة المسـيحية باليهودية، أي أنها تمثل رؤية تشـريعية جديدة للأصل الشرعي، ويزعم البهائيون أنهم يدعـون إلـى المسـاواة بين كل البشـر وهم مع ذلـك يعطلون العمل بالشريعة الإسلامية ويرفضون تطبيقها.



الفصل العاشر

التصوف والطرق الصوفية



ساهم أهل الصوفية في نشر تعاليم الإسلام في مناطق بعيدة، وقد اشتق هذا الاصطلاح من كلمة (الصوف) وهو الرداء الذي اعتاد المتصوفون ارتداءه وهو رادء مألوف أيضا لدى الزهاد المسيحيين في الشرق، إلا أن لونه يتميز باللون الأزرق وليس اللون الأسود. وقد ظهرت الصوفية بعد وفاة الرسول ﷺ وكان الإمام الحسن البصري (٢١ - ١١٠) أحد أبرز دعاتها، وقد تركز اهتمامه على نشر فكرة المسئولية الفردية للإنسان على أفعاله وأنه سوف يقبر وحيدا ويبعث وحيدا. وقال البصري عن الزهد في الدنيا وطلب خير الآخرة: "رياضة نفسك لذلك تترتب على أحوال ثلاثة وكل حالة منها تتشعب وهي لتسهيل مايليها سبب، الحالة الأولى: أن تصرف حب الدنيا عن قلبك فإنها تلهيك عن آخرتك ولا تجعل سعيك لها فتمنعك حظك منها وتوق الركون إليها ولا تكن آمنا لها"(٢٩) وقد تبع الحسن البصري رجال الصوفية الذين نشئوا في البيئات العراقية والشامية، وقد كرس هؤلاء أنفسهم للصلوات المسائية بشكل متواصل حتى مواقيت الصلوات النهارية، وقد شن رجال الصوفية الحرب ضد هوى النفس، ووصفوا ذلك بأنه الجهاد الأكبر، بهدف التحكم في أهواء النفس وميولها لتتحول إلى معارف راقية. وقد امتدت التيارات الصوفية إلى بلدان بعيدة وتركزت في شرق إيران وخراسان، وكانت أولى تلك التيارات



(٢٩) انظر كتاب الحسن البصري: كتاب أدب الدنيا والدين لأبي الحسن البصري، نظارة المعارف العمومية، الطبعة الثالثة ١٣٢١- ١٩٠٣، ص١٠٢





تابعة لإبراهيم بن أدهم (١٦١ / ٧٧٨) الذي نشأ في بلخ، وقد حيكت حوله قصة تشبهه بقصة الأمير الرحال التى أطلقت على بوذا. وقد كان المبدأ الأساسي الذي دعا إليه هو التوكل على الله وليس التواكل، عملا بالمقولة الشهيرة (اعقلها وتوكل) ومن بعد الحسن البصري ظل مبدأ التوكل عند أهل الصوفية مطلبا أخلاقيا يدعون إليه.

ويعتبر الفقر والصوم من المبادئ الهامة التي دعا إليها أهل الصوفية عملا بالقول المأثور عن الرسول ﷺ ومعناه كالتالي (فقري هو فخري) ثم صارت الدعوة إلى التخلي عن الملكية إحدى أهداف أهل الصوفية ودعاتها استنادا إلى الرؤية القرآنية بأن متاع الدنيا محدود مصداقا لقوله تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾

(غافر: ٣٩)

ولم يكن الفقر والصوم فقط هما ما دعا إليهما أهل الصوفية، بل لعب مبدأ الصمت دورا هاما أيضاً علاوة على ملاحظة وضبط هوى النفس لأن الغرور هو شر البلية، وقد خصص الحسن البصري بابا خاصا لأدب النفس أسماه (باب أدب النفس) وقد قال فيه: "الفصل الأول في مجانبة الكبر والإعجاب، لأنهما يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل، وليس لمن استوليا عليه إصغاء لنصح، ولا قبول لتأديب، لأن الكبر يكون بالمنزلة والعجب يكون بالفضيلة، فالمتكبر







يجل نفسه عن رتبة المتعلمين والمعجب يستكثر فضله عن استزادة المتأدبين" ، ونقل فيه عن قول الشاعر محذرا من الكبر والإعجاب بالنفس :

عجبت من معجب بصورته   وكان بالأمس نطفة مذرة
وفى غد بعد حسن صورته   يصير في اللحد جيفة قذرة(٣٠)

وهكذا كان الأفضل من جانب أهل الصوفية أن يشعر المرء بأنه في حاجة إلى العفو والصفح من الله ، أفضل من الفخر والإحساس بالتقوى الظاهرة ، وتقول إحدى أدعية الصوفية في حوار متصوف مع الله :"يا رب هل يرضيك أننى راض معك ؟ فيقول الله ، يا أيها الكاذب إن كنت راضيا معي في الحقيقة لَما بحثت عن رضواني عنك" . والحقيقة أن نظاما للحياة الصوفية لم يبدأ في الظهور قبل القرن الثامن الميلادى وقد تجلى هذا بوضوح في سيرة السيدة رابعة العدوية البصرية (١٣٥ / ٧٥٢) . وقد شاعت قصص كثيرة عن معجزاتها بين أهل الصوفية . وخلاصة إحدى تلك القصص أن الناس قد أبصرت السيدة رابعة تمشي في شوارع البصرة ، وهى تحمل شعلة في يديها وهى تقول :"سأشعل النار في الجنة وأسكب الماء على النار حتى ينكشف الغشاءان عن طريق السالكين إلى الله ، ويتبين مقصودهم ، ويشاهدون الله لا يحدوهم أمل ولا يفزعهم خوف ، أفإن لم يكن جنة ولا نار لم يعبد الله أحد ولم

(٣٠) انظر : المرجع السابق ، ص ٢٣٣



يطعه أحد !"(٣١) . وقد أصبح موضوع الحب الإلهي الذي يبغيه المتصوف هو الموضوع الأساسي للشعر الصوفي حتى يومنا هذا . ويرى أهل السنة أن الحب يتجلى في حب الإنسان للأوامر الإلهية وطاعة الله ، وليس الحب حب الله فقط كما يقول أهل الصوفية . إلا أن أهل الصوفية ظلوا على إيمانهم بمبدأ الحب الإلهي الخالص مصداقا لقول الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(٣٢)

(المائدة: ٥٤)

وبعد مرور نصف قرن على وفاة رابعة العدوية ، استمرت تلك الرؤية في الانتشار في البيئة العراقية . ثم أتى من بعدها آخرون من أهل الصوفية وقد رأوا رؤى أخرى وحددوا الحب الإلهى تحديداً آخر . وقد ظهر تيار صوفي آخر عرف بالمحاسبية نسبة إلى المتصوف الحارث المحاسبي (٢٤٣ / ٨٥٧) والذي اهتم بمحاسبة النفس . وأتى آخرون لعبوا دورا هاما في صياغة الفكر الصوفي من أمثال العالم المصري ذي النون (٢٤٥ / ٨٥٩)

---

(٣١) انظر : موجز دائرة المعارف الإسلامية ، ط١ ج١٦ ، ١٩٩٨ ، ص ٥٠٤٣
(٣٢) المائدة: ٥٤رقم الآية ٥٩ خطأ في النص الألماني ، انظر ; Annemarie Der Islam; P.94 (المترجم)





الذي نشأ في جنوب مصر[٣٣] وهو أول المتصوفة الذين تحدثوا عن المعرفة والعرفان كما دعا إلى أن الطبيعة هى مفتاح معرفة الله فكل المخلوقات تسبح بحمده، ومن أقواله:

رب تعالى فلا شيء يحيط به ... وهو المحيط بنا في كل مرتصد

لا الأين والحيث والكيف يدركه ... ولا يُحَدُّ بمقدار ولا أمد

وكيف يدركه حد ولم تره ... عين وليس له في المثل من أحد

أم كيف يبلغه وهم بلا شبه ... وقد تعالى عن الأشباه والولد

من أنشأ قبل الكون مبتدعا ... من غير شيء قديم كان في الأبد[٣٤]

وقد اصطبغت أشعار كثيرة بكلام ذي النون عن حب الله الظاهر في كل مخلوقاته.

وقد عاصر رابعة وذا النون متصوف آخر هو أبو يزيد البسطامي الفارس المتوفى في سنة ٢٦١ / ٨٧٤ وهو صاحب مقولات غريبة ونادرة في التراث الصوفي الشفاهي، ومنها مقولته الشهيرة (سبحاني)، وهى تعكس وحدة الوجود بكل معانيها، وقد فهمت هذه المقولة باعتبارها تأليها للإنسان. وقد تناول أبو يزيد موضوع الإسراء إلى السماء في تجربته الصوفية

---

(٣٣) هو أبو الفيض بن إبراهيم المصري أحد مشاهير الزهاد في أول عهد التصوف وأصله من أخميم، ولد من أبوين نوبيين واسمه الحقيقي ثوبان. توفي في الجيزة في سنة ٢٤٥ هجرية / ٨٦٠ ميلادية. موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج١٦ ص٥٠٣١.

(٣٤) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج١٦ ص ٥٠٣١، وراجع شيمل ص٩٥.





وعبر عن حنينه إليها في تصورات فريدة، وربما يرجع مذهبه في الدعوة إلى الفناء إلى مؤثرات هندية، ومن ثم أصبح مبدأ الفناء اصطلاحا أخلاقيا، واعتبر من أهم ما دعا إليه المتصوفة. ومعناه أن كل مخلوق يعود في حقيقته إلى مصدر خلقه وهو الله، ومن هنا كان مبدأ الصوفية هو الفناء في ذات الله.

وقد نشأت من تلك الرؤية المتصوف الكبير الجنيد البغدادي (٢٩٧ / ٩١٠)، والذى لقب بـ (طاووس الفقراء). وقد نسبت إليه أقوال كثيرة مصدرها أحاديث الرسول وأقوال الخلفاء الراشدين من بعده. وقد اعتبر الجنيد من دعاة إحياء الصوفية وقد أثرت آراؤه على مجالس العلم والدعوة في العراق، أما هو فقد أدرك خطورة الدعوة إلى مبدأ الفناء في الله خاصة وأن محاكمة بعض الصوفية بدأت في عصره في بغداد. ولذلك نجد أفكاره رمزية غير مباشرة، وقد صار الحلاج (٣٠٩ / ٩٢٢) وهو أحد تلاميذ الجنيد أشهر أهل الصوفية الذين نادوا بمبدأ التوحد مع الله وعبرت عنها كلمته الشهيرة "أنا الحق والحق للحق حق لابس ذاته فما ثم فرق"(٣٥)

وقد نشأ الحلاج في بيئة فارسية في العراق وصار أشهر الصوفية نسبة إلى منهجه الذي تفرد به في الدعوة إلى مبادىء الصوفية ونهجة الزاهد في العيش. وربما يرى البعض أن دعوته هذه شبيهة بالرؤية القائلة بأن آدم قد خلق على مثال الرب

(٣٥) انظر: كتاب أخبار الحلاج أو مناجيات الحلاج، اعتنى بنشره وتصحيحه وتعليق الحواشي عليه لويس ماسينون وبول كراوس، مطبعة القلم، باريس، ١٩٣٦، ص٨ وص ١٠٨.





كما نجده في كتاب العهد القديم في سفر التكوين الإصحاح الأول الفقرة ٢٦ "وقال الرب نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا"(٣٦) .

وقد انتشرت آراء الحلاج بين مكة المكرمة وتركستان إلا أن أتباعه تعرضوا كثيراً للاضطهاد وملاحقة رجال الشرطة كما قبض على الحلاج نفسه في سنة ٩١٣ . ويبدو أن ما تعرض له الحلاج لم يكن بدافع ديني بل بسبب الخوف من علاقاته بالقرامطة . وهي تهمة سياسية ألصقت به نتيجة سفره إلى الهند والخوف من خطط القرامطة الرامية إلى زعزعة نظام الحكم . وقد دعا الحلاج المسلمين إلى فهم الإسلام فهما عميقا (باطنيا) وليس ظاهريا فقط . وقد عرفت عنه أدعية كثيرة قالها ساعة قتله وعلى سبيل المثال مقولته الشهيرة لأصحابه (اقتلوني يا ثقاتي) ، وقوله أيضا هؤلاء عبادك قد اجتمعوا لقتلي تعصبا لدينك وتقربا إليك . فاغفر لهم فإنك لو كشفت لهم ما كشفت لي لما فعلوا ما فعلوا ، ولو سترت عني ما سترت عنهم لما ابتليت بما ابتليت . فلك الحمد فيما تفعل ولك الحمد فيما تريد"(٣٧) وقد أعدم الحلاج في سنة ٩٢٢

---

(٣٦) تعبر الفقرة عن الرؤية اليهودية والمسيحية في قضية خلق آدم ، وهي رؤية مغايرة للرؤية القرآنية ، فالإنسان وإن كان هو خليفة الله في الأرض فلم يخلقه الله على مثاله ، بل خلقه الله في أحسن تقويم مصداقا لقوله تعالى في سورة التين الآية الرابعة ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (المترجم)

(٣٧) انظر : كتاب أخبار الحلاج أو مناجيات الحلاج ماسينيون صـ ٨ .





وصار مثالا بين الصوفية على التضحية بالحياة من أجل المبادئ التي يؤمن بها الصوفي.

انتهت المرحلة الأولى من تاريخ التصوف في الإسلام بموت الحلاج، ومن ثم بدأت مرحلة جديدة اعقبتها بحوالي نصف قرن من الزمان. وقد تميزت تلك المرحلة الجديدة بالتنظيم الشديد وكان ذلك ضروريا فيما يبدو بسبب ما قيل عن التأثيرات الوافدة من آسيا الوسطى وغيرها في فكر الصوفية[٣٨] وفى حوالي القرن الحادي عشر وما بعده وضعت مؤلفات عديدة بالعربية والفارسية حاولت التوفيق بين الصوفية وبين آراء غالبية المسلمين وخاصة أهل السلف. وقد التزم غالبية الصوفية الأوائل بالشريعة الإسلامية وتطبيقها في الحقيقة، وقد بلغت عملية تأسيس وتنظيم الصوفية ذروتها في كتاب (إحياء علوم الدين) للإمام أبي حامد الغزالى (٤٥٠-٥٠٥)، وهو أحد الأئمة ذوى الأصول الإسلامية في البيئة الفارسية. وقد كان إماما ومعلما كبيرا لعلم الكلام في عصره. وتظهر سيرته الذاتية من خلال كتابه (المنقذ من الضلال)، اختلافه مع كثير من العلماء والفلاسفة المسلمين والشيعة الباطنية المعاصرين له. ويبدو من مؤلفه (إحياء علوم الدين) أنه أراد هداية المسلمين إلى إحياء البحث في علوم

(٣٨) انظر عن التأثيرات الأجنبية في التصوف، عبد الرحمن بدوي، تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٧٨، صـ ٣١- ٤٤.





الدين وكان دليله ومرشده في ذلك هو التصوف. وقد ركز في دعوته على أن المسلم عليه إدراك الوجود الإلهي دائما في كل مناحي الحياة ومراحلها. وقد دعا أيضاً إلى إدراك وجود الله في السلوك الدنيوي. وقد تناول الغزالي في مؤلفه هذه الأفكار في الفصول الثلاثة الأولى حيث شرح كيفية التحلي بالسلوك الحسن في المعاملات، ثم طرح المسائل الصوفية في الفصل الرابع مثل الفقر والصبر والتوكل على الله والشوق إلى الله والحب والمعرفة، وتناول في الفصل الأربعين موقف التقي ساعة الموت، ويبدو أن هذا الفصل هو غاية الكتاب كله، فالعدد أربعين هو عدد الأيام التى يقضيها الصوفي في التعبد، وهو دليل بلوغ الفتوة وغاية الصبر.

وقد تبلورت أفكار الغزالي أيضا في مؤلفه الشهير (مشكاة الأنوار) حيث تناول فيه الحديث عن النور الذي يظهر للصوفي، وقد فسر الإمام الشهاب السهروردي (٥٤٩-٥٨٧) أفكار الغزالي السابقة بعد نصف قرن. أما أحمد أخي الغزالى (المتوفى في سنة ١٢٦٩) فقد اهتم بالأخلاق العامة عند عموم المسلمين وألف كتاباً عن الحب الصوفي في الأدب الفارسي.

وبوفاة الغزالي بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الصوفية وقد اتسمت تلك المرحلة بتكوين ما يعرف باسم (الأخوة والنظام). وعند نصل إلى عبد القادر الجيلاني (٤٧١-٥٦١)





نجد أن الصوفية أثروا وغيروا في ثقافة مجتمعهم بالرغم من أن عبد القادر نفسه لم يفكر في تنظيم محدد للصوفية. ونظرا للفراغ الذي تركه الإسماعيلية آنذلك، فقد وجد الصوفية الفرصة سانحة لملء هذا الفراغ وجذب المسلمين إلى صفوفهم. ومن ثم برز دور (الشيخ) بروزاً كبيراً، والشيخ هو الإمام والمعلم لدى الصوفية وقد كان له تأثير كبير على المريد (أى من يطلب علم التصوف). وقد صارت الطاعة التامة من الفروض التى يجب على المريد التحلي بها، وعلى المعلم رعاية تلاميذه وتربيتهم وهي مرحلة تستغرق أربعين يوماً، ومن بعد ذلك يصبح المريد قادراً على ذكر الله وتسبيحه بمفرده، وكثيراً ما يستند الصوفية على قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ (الرعد: ٢٨)

ومن التدريبات الصوفية المألوفة التكرار المنظم لصيغة معينة مثل الشهادة (أشهد أن لا إله إلا الله)، أو تكرار ذكر اسم الله أو أحد أسمائه الحسنى التسع والتسعين. وقد كانت مثل تلك التدريبات من الأمور التي توصل إليها أهل الصوفية ثم تطورت في نظام وصارت أسلوباً أساسيا عند المتصوفين. وذِكْرُ الله يكون إما بصوت عال أو بصوت منخفض. وقد أصبح الذكر بصوت عال عند الطرق الصوفية الكبيرة من وسائل بلوغ النشوة النفسية. إلا أن أسلوب الذكر بصوت خفيض كان من الأمور المحببة عندهم، وقد ارتبط بنظام محدد للتنفس، وهو في





حقيقة الأمر من الفروض الأساسية المفروضة على أعضاء الطرق الصوفية. ويكون على الشيخ أن يوجد الشباب المريدين إلى ذكر الله، فإن شابَ تكرارُ اسم الله آلاف المرات خطأٌ لفظي فقد يؤدى ذلك إلى تأثيرات نفسية تدفع المريد إلى الاضطراب. ومع مرور الوقت فقد تعمقت التجارب الصوفية من خلال تأسيس الطرق الصوفية حتى صار يتبعها العديد من جمهور المسلمين. وقد يشترك عدد لا يحصى من المريدين في مجالس الذكر ومنها ما يسمى بالمولد حيث يحتفل بذكرى مؤسس الطريقة. وقد بلغ العشق الإلهي وحب الرسول غايات بعيدة في التراث الإسلامي من خلال الصوفية التي شرحته وحببته إلى نفوس المسلمين. وقد تابع آخرون مسيرة تأسيس الطرق الصوفية التى استهلها عبد القادر الجيلاني، وخاصة الطريقة القادرية التى تعتبر الطريقة الصوفية الكبرى في العالم الإسلامي والتى نجد أتباعها منتشرين بين غرب أفريقيا وحتى إندونيسيا. ومن أبرز أتباع هذه الطريقة الأمير المغولي دارا شيكو الذي أعدم في سنة ١٦٥٩ وهو الذي ترجم مجموعة المؤلفات الفلسفية والدينية الهندية القديمة إلى الفارسية، وتعرف تلك المؤلفات باسم **Upanisaden** وقد هدف دارا إلى التوفيق بين الإسلام وبين الهندوسية على أساس التوحيد فيهما.

وتنتسب الطريقة الرفاعية إلى مؤسسها أحمد بن علي بن يحيى الرفاعي الحسيني (٥١٢-٥٧٨)، وهي جماعة لها خبرات خاصة في وسائل العلاج وتعتبر من الطرق الصوفية



المعروفة في العالم الإسلامي ويوصف أتباعها بالدراويش لأنهم يؤدون الذكر بصوت عال. وقد نسب إليهم أشياء غريبة مثل ميلهم إلى الإضرار بأنفسهم جسدياً وغير ذلك.

وفى حوالي سنة ١٢٠٠ ميلادية ظهرت طريقة صوفية معاصرة للطريقة السهروردية وهى الطريقة الششتية، وترجع جذور تلك الطريقة في الهند إلى بهاء الدين زكريا في ملتان، أما أتباع الطريقة الششتية فهم على درجة كبيرة من المعرفة والثقافة الواسعة كما أن لهم مشاركة فعالة في السياسة الهندية أيضا. وقد ظهرت في نفس الوقت طريقة صوفية أخرى في آسيا الوسطى عرفت باسم الكبروية نسبة إلى مؤسسها نجم الدين الكبري[٣٩] وهو الذي أثرى تلك الطريقة بتجاربه النفسية المثيرة.

وفى مصر تكونت طريقة صوفية تتبع الشيخ أحمد البدوي (٥٩٦- ٦٧٥)، وتمارس بعض العادات التي تعود إلى عصر ما قبل الإسلام، فعلى سبيل المثال يحتفل أتباع الطريقة بالاحتفالات وفقا لتقويم السنة الشمسية وليس التقويم القمري المتبع في الاحتفالات الإسلامية، كما تأسست الطريقة الشاذلية في مصر في حوالي منتصف القرن الثالث عشر، ويبدو أن اعتقادات تلك الطريقة ترجع إلى المذاهب الإسلامية الباكرة في بغداد، وقد أدى انتشار الطريقة الشاذلية في شمال أفريقيا إلى انتماء عدد لا بأس به من الأوروبيين إليها، ومازالت

(٣٩) كانت في الأصل (جمال الدين كبرى) والتصويب من سير أعلام النبلاء (المجلة).








تلك الطريقة على درجة من النشاط والقوة في مصر. وتعتمد مرجعيات الطريقة على الحكم اللغوية لابن عطاء الله المتوفى في سنة ١٣٠٩ ميلادية. ونورد من حكم الطريقة ما يلي:

١) من آيات اصطفاء الله لك، أنه يتركك هناك فتأتي أنت بأطيب ما لديك.

٢) ربما أعطاك فمنعك، وربما منعك فأعطاك.

٣) لا يكن تأخر أمد العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجبا ليأسك، فهو ضمن لك الإجابة فيما يختاره لك لا فيما تختار لنفسك، وفى الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد.(٤٠)

ومن الأدعية الشهيرة لمؤسس الطريقة دعاء حزب البحر، وقد انتشر وعرف بين الهنود باعتباره دعاء مهما يجلب البركة.

وفي نفس الوقت نشأت في الأناضول طريقة عرفت باسم الطريقة المولوية، نسبة للاقتداء بنموذج مولانا جلال الدين الرومي (٦٠٤-٦٧٢) في التصوف. في أوروبا تعرف هذه الطريقة بالدراويش الراقصين نسبة إلى رقصة المولوية الصوفية المعروفة. وبينما اجتذبت الطريقة المولوية في الدولة العثمانية عدداً كبيراً من الفنانين في المقام الأول. كما انتشرت طريقة صوفية أخرى في الأناضول عرفت باسم الطريقة البكتاشية. وقد كانت البكتاشية في بداية الأمر

(٤٠) انظر: الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري، شرح ابن عباد النفري الرندي، إعداد ودراسة محمد عبد المقصود هيكل، الطبعة الأولى، مركز الأهرام للترجمة والنشر ١٩٨٨م، ص ٢٦٠ وما بعدها.



طريقة ذات منظومة صوفية بسيطة ثم استوعبت كثيراً من الأفكار الشيعية، وكان مريدوها في الغالب من الطبقة العليا المعروفة بالإنكشارية.[٤١] ويعتبر الشعر الوجداني البكتاشي من الملامح الهامة في الشعر التركي. وهناك اعتراضات كثيرة لجمهور المسلمين المحافظين على التجاوزات الأخلاقية في الطريقة البكتاشية، وكان من نتيجة ذلك أن فقد الإنكشارية سلطتهم الظاهرية على الأقل في حوالي سنة ١٨٢٦ ميلادية. والواقع أن كلا من الطريقة المولوية والبكتاشية لم تزدهرا سوى في عصر الدولة العثمانية.

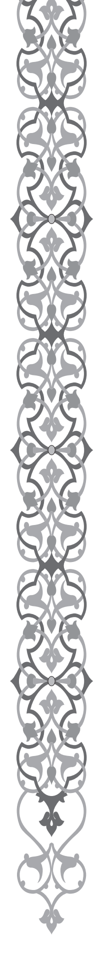
وقد كانت الطريقة الششتية معروفة في شبه القارة الهندية فقط. وكان مؤسسها معين الدين ششتى المتوفى في سنة ١٢٣٦ ميلادية، ممن ينتمون سابقا إلى الطريقة السهروردية. وقد انتشرت تلك الطريقة من راجستان سريعا حتى بلغت جنوب الهند. ومازالت الطريقة الششتية من الطرق الصوفية النشطة في الهند حتى اليوم. وقد اتسمت هذه الطريقة بالاهتمام بالموسيقى والشعر على منوال الطريقة المولوية. والحقيقة أن القرن الثالث عشر كان عصر الازدهار الكبير للطرق الصوفية بالرغم من كارثة استيلاء المغول على معظم

(٤١) الإنكشارية كلمة تركية ومعناها (القوة الجديدة)، وقد كانوا جماعة من الجنود يشكلون نواة الجيش التركي في حوالي القرون الرابع عشر وحتى السابع عشر، انظر قاموس المفردات الأجنبية في الألمانية:
SchuelerDuden,Fremdwoerterbuch,Hers. von Guenthre Drosdowski,Mannheim1984 ,S. 213





العالم الإِسـلامي. وفى هذا العصر ظهر في الأندلس المتصوف الكبيـر والعلامة ابن عربـي (٥٦٠-٦٣٨) وقد كان فكر ابن عربي هـو الفكر المؤثر على مجمـوع المؤلفات الصوفية. أما المؤلفـات التي لم يقبل أصحابهـا رؤيته عن وحدة الوجود فقد تبنوا أسلوبه اللغوي ومنهجه الفكرى، وقد وصفه معارضوه في الشـرق والغـرب بأنه مفكر وجـودي، إلا أن تلاميذه اللاحقين أكـدوا مـرارا أنه كان متمسـكا بالاعتقاد فـي الله المتعالى عن الوجود. وأضافوا أن أسـتاذهم اعتقد في أن ماهية الله لا يدركها مخلـوق وليـس للوجود سـوى إيضاح جـلال الخالـق وعظيم قدرتـه، وقـد اعتمد ابـن عربي علـى الأحاديث القدسـية مَثَلُه في ذلك مثل سـابقيه من المفكريـن والمتصوفين. فقد رأى أن العالم موجـود فقط عندما ندرك ارتباطة بالخالق، وهكذا نفهم مقولته عن احتياج المخلوقـات للخالق لأنها تؤكد بذلك على عظمـة قدرته في الخلق. وتتبلور منظومة ابن عربي الفكرية من خلال مؤلفاته وخاصة كتابه الهام (الفتوحات المكية) وكتاب (فصـوص الحكم). ويتكون كتابه السـابق من ٢٩ فصلا عبر فيـه بصوفيـة عن فكـرة النبوة التـى تجلت في أسـمى صورها في شـخص الرسـول ﷺ والذى اعتبره إنسانا كاملا لأن دلائل عظمة الله ملموسة فيه بوضوح. فالرسول هو أول الخلق وهكذا أيضـا مـا ذهب إليه الحسـين بن منصـور الحلاج في السـابق. وفـى حيـن كان معاصرو ابـن عربي فـي حاجة ماسـة إلى فهم منظومته الصوفية والفكرية فقد أصبحت موسوعة جلال الدين





الرومي الشعرية المعروفة باسم المثنوي من ذخائر الصوفية ومصادرها الفكرية والإلهامية على مر العصور. ومن الملاحظ أن المتصوفين العرب لم ينتجوا إبداعا شعريا متميزا بالمقارنة مع المثنوي، فقد قرض ابن عربي مجموعة متواضعة من أشعار العشق والتي فسرها هو نفسه من بعد تفسيرا صوفيا.

والملاحظ أننا لم نرث من الشعر الصوفي الجميل سوى ما نجده في شعر المتصوف المصري الكبير ابن الفارض (٥٧٦-٦٣٢) والذي اتسم بأسلوب لغوي فريد، وهو عبارة عن شعر في العشق الإلهي يهدي الإنسان إلى طريق الله. وقد كانت إيران هي الوطن الحقيقي للشعر الصوفي، فإذا تتبعنا الشعراء الصوفية وجدنا الشاعر عبدالله الأنصاري المتوفى في سنة ١٠٨٩، وهو صاحب الأدعية الصوفية القصيرة والأشعار المعروفة في هرات. ويتبعه الشاعر الفارسي مجد الدين سنائي الغزنوي من غزنة في شرق أفغانستان (٥٤٥ / ١١٣١) وهو صاحب مثنوي شعري يتناول فيه قضايا الصوفية، وقد صاغه بأسلوب قافية الأبجدية المزدوجة. وقد صارت مقطوعته الشعرية (حديقة الحقيقة) هي النموذج الشعري الذي احتذاه الشعراء من بعده، مالم تمثل طفرة كبيرة في فن الشعر الصوفي، كما خلف لنا سنائي مجموعة لا بأس بها من الشعر الوجداني الديني. وفى نيسابور اتبع المتصوف الكبير فريد الدين العطار (٥٨٦ / ١٢٢٠) أسلوب سنائي الشعري، ويأتي العطار في طليعة الملحمين الإيرانيين على الإطلاق. ونستطيع تتبع فهمه المتميز لتراث وتاريخ







الصوفية من خلال كتابه (تذكرة الأولياء) وتبدو لنا مواهبه السردية الفريدة من خلال ملحمته الشهيرة (منطق الطير). في هذا الكتاب شرح العطار شعرياً رحلة النفس الإِنسانية من خلال رحلة طيور النفس إلى أميرها. وقد صور العطار في ملحمة شعرية أخرى، كتبها بالفارسية بعنوان (مصيبت نامه)، رحلة دارس التصوف التي استغرقت أربعين يوما حيث سأل الدارس (المريد) الريح والشمس والملائكة والحيوانات كيف يهتدي إلى طريق الله، ثم علمه شيخه سبيل الهداية حيث يجد المريد طريق الله في (بحر) النفس الإِنسانية. ويبدو أن العطار قد التقى جلال الدين الرومي في مدينة بلخ قبل وفاته في سنه ١٢٠٧ ومن المعروف أن جلال الدين ووالده وهو شيخ متصوف قد فرا من المغول إلى آسيا الصغرى وانتهى بهما المطاف إلى مدينة قونية بالأناضول، وكانت في ذلك الوقت حصن السلاجقة الأمين والملاذ الآمن للأدباء والفنانين من الكوارث التي نزلت بالقسم الشرقي من العالم الإِسلامي من جراء الزحف المغولي. وبعد وفاة والده مَرّ جلال الدين الرومي بتجارب الصوفية في محبة البشر من خلال لقائه مع شمس الدين التبريزي، وكان درويشا رحالاً يزعم بلوغه مرتبة العشق الصوفي. وقد اختفى هذا الدرويش من جلال الدين وعائلته، إلا أن أكبر أبنائه أعاده ثانية حيث كان. إلا أن جماعة متعصبة لجلال الدين قتلته بعد مدة وجيزة. وقد أثرت أحزان الفراق على جلال الدين الفقيه فتحول إلى شاعر وقد قرض جلال الدين حوالى ٣٠ ألف بيت شعري في عشق شمس الدين



الإنسان، والتى نلمس فيها أيضا مظاهر الخلق كلها، والقافية في تلك المقطوعات قوية وظاهرة، ولذا تعتبر من أبرز مؤلفات الأدب الفارسي الغنائي في شكل الرقص المولوى الدائري، كما أنها تعكس صوراً صادقة عن الحياة في مدينة قونية في القرن الثالث عشر. وبعد اختفاء شمس الدين، وجد جلال الدين عشقا آخر من خلال صداقته لصانع الحلي صلاح الدين زركوب، ثم قرض ابن الرومي ديوانه الشهير المثنوي ويتكون من ٢٦ ألف بيت شعري، ويعتبر من أشهر دواوين التصوف، ويشمل هذا الديوان قرابة ١٢٧٠ فكرة صوفية، كما أنه زاخر بالقصص والحكايات الشعبية، إلا أننا لا يمكننا اعتباره كتابا تعليميا في التصوف. وقد خلّف ابن الرومى مجموعة من الرسائل والمؤلفات النثرية علاوة على نشاطاته الاجتماعية البارزة وقد صار المثنوي بعد وفاة جلال الدين من أكثر المؤلفات تداولا بالفارسية. وقد اهتم به المفسرون وأضافوا إليه تفاسير بالتركية والفارسية واللهجات الهندية المحلية. وحتى اليوم لم يستطع شاعر واحد الاقتراب من عالم المثنوي دون أن يتأثر به. وقد تلقب كثير من الشعراء الأتراك والفرس باسم الرومي منهم الشاعر العراقي المعاصر لجلال الدين، وجامي من هرات المتوفى في سنة ١٤٩٢ ميلادية ومن الموضوعية أن نقول بأننا نفتقد حتى اليوم الدراسة التي ترصد بدقة حجم الدور الذي لعبه التصوف في تطور الآداب الفارسية والتركية والعربية ونرى أن الشعر البكتاشي التركي وبدايات اللغة الأردية تنتمي إلى دائرة



الآداب السابقة ويمتلئ أدب السند والبنجاب بالشعر الصوفي، ونستطيع القول بأن الشعر الباكستاني هناك من أجمل الأشعار الشعبية الصوفية التي نجدها في التراث الإسلامي، ناهيك عن الحديث عن لغة البلهى شاه في إقليم البنجاب والشعر الموسيقي (الغنائي) لشاه عبد اللطيف (المتوفى في سنة ١٧٥٢) في السند أو الشعر السندي المعروف باسم Sacals، أو الملاحم المنظومة بلغة الباشتو للمتصوف (رحمان بابا) المتوفى في سنة ١٧١٠، والتي نعتبرها من كنوز التصوف الهندي الذي لا يزال في حاجة إلى دراسة منظمة. وينتمي إلى الشعر السابق قصائد مدح النبي ﷺ فقد رفعه الشعراء إلى درجات تسمو عن عالم الإنسان الذي انتمى إليه، وهذا ما نجده في أشعار ابن عربى والبردة للإمام البوصيري (٦٠٨-٦٩٦) والتى انتشرت في لغات كثيرة كالفارسية والسواحلية والهوسا في أفريقيا. إلا أن الشاعر الشعبي في الأغاني الشعبية يلتزم التغني بمكانة النبي وشفاعته للمسلمين في يوم القيامة. ونحن نلمس في الأغاني والأشعار الشعبية السابقة أثر التصوف بوضوح وهذا يرجع إلى تقاليد الصوفية النقلية منذ العصور الوسطى والتى تتخذ من شخص النبي والتابعين موضوعاً أساسيا للتغني وإظهار الحفاوة والتمجيد. وهذا الحال يصور انتشار التصورات الصوفية في العالم الإسلامى كله.



الفصل الحادي عشر

كرامات الأولياء





لم يعرف الإِسلام الوساطة بين الله وبين الإِنسان في فروض وشعائر العبادة، وقد ظهر فيه مفهوم كرامات الأولياء. إلا أن المذهب الحنبلي وأتباع محمد بن عبدالوهاب (١٧٠٣ - ١٧٩٢) قد رفضوا التصوف والاعتقاد في كرامات الأولياء رفضا تاما. وهم بهذا يعتبرونها من البدع التي لم تكن معروفة في عصر صدر الإِسلام. وكان من أولى المؤلفات الجادة والتي تناولت موضوع كرامة الأولياء (كتاب القطب) الذي ألف في القرن التاسع وصار هو الأساس المرعي في الآراء المتأخرة عن نفس الموضوع. والشخص ذو المكانة يسمي في الإِسلام (الولي)، وتسمى معجزاته كرامات. وتلك الاعتقادات هي في حقيقتها رسالة الصوفية، حيث ينصاع أتباع الطرق الصوفية لولي الطريقة انصياعا تاما، وكان هذا هو الحال منذ بداية الإِسلام. فمن لا إمام روحي له فإِن وليه الشيطان. وهكذا كان من الأهمية بمكان اتباع قيادة روحية ما، ولاشك أن القادة الروحيين الذين مارسوا مهمة شفاء النفوس كان لهم وجود بين أتباع الطرق. إلا أن غالبية الشيوخ فهموا تلك القدرة في إطار مواهب الولي خاصة فيما يتعلق باستكشاف الغيب والتي يستطيعها من خلال ممارسة أنواع معينة من القراءات المألوفة لأهل الصوفية، إلا أنهم يستطيعون تقييد الشعب وتسخيره واستغلاله. ومن هنا نفهم أن مدارس الدراويش قد أغلقت في تركيا في سنة ١٩٥٢م، لأن كمال أتاتورك رأي ضرورة تحييد تأثير أولئك الأولياء علي إيمان الشعب. أما الدور السياسي





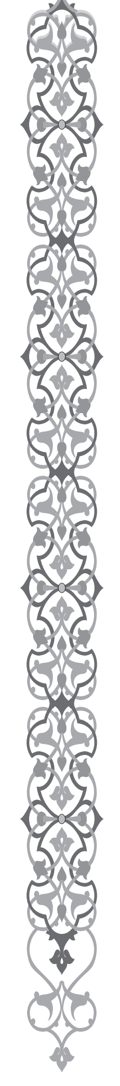
الذي لعبه هؤلاء الأولياء فهو محمود ويستحقون الشكر عليه. وفي الاتحاد السوفيتي السابق، نجد أن أتباع تلك الأخيّات أو الروابط الأخوية في أوزبكستان والقوقاز قد ساهموا بدور فعال في الكفاح الروحي ضد تيار العداء للأديان وعملية صبغ الأقليت المسلمة بالصبغة الروسية ثقافيا وسلوكيا.

وربما اختلفت المفاهيم الدينية السابقة على الإسلام مع الاعتقاد في كرامة الأولياء. حيث استبدلت بأسماء الآلهة المحلية أسماء الأولياء، وخاصة بالنسبة إلى معتقدات القبور عند العامة، بالرغم من أن هذا لا يبدو للوهلة الأولى، ودوافع الإيمان بتلك الكرامات أنها تقدم العون في كل الملمات والمصائب، بعد تقديم النذور المحددة. وتوجد قبور الأولياء في الأغلب عند منابع الأنهار أو المغارات أو بالقرب من أشجار معينة وربما في بعض المساجد أحيانا.

وهناك احتفال شهير يتم من أجل مسجد حاجي بأنقرة لقداسته، حيث تذبح الخراف وتضاء الشموع في أيام الصيام أو يتمم المصلون فيه عددًا معينًا من الصلوات. وتعتبر بلاد المغرب تربة صالحة للاعتقاد في كرامات الأولياء. وفي الهند تحولت المعابد الهندوسية القديمة إلى أضرحة للأولياء التي يحتفل الهندوس والمسلمون فيها بأوليائهم الصالحين. وتلعب التشكيلات المعمارية والهندسية دورًا في هذا المقام، وهذا ما تُذكرنا به عمارة التمساح المقدس في كراتشي وصولاً







إلى قبر المرمر في العمارة المغولية نتذكر أنها جميعا من علامات التقوى والإيمان.

ويبدو أن الشعائر والممارسات الي تتم في كنف قبور الأولياء لها صلة ما بالسحر، إلا أن شيخ الطريقة هو الذي يقوم بوظيفة أداء الشعائر خاصة في حالات المرض والولادة واندلاع الحرائق إلى غير ذلك. ومن المعروف أن بعض الناس يؤمنون بأن آيات معينة في القرآن الكريم لها قدرة معينة علي العلاج وتلبية الحاجات، كما أن صلوات معينة تحمي الفرد من المخاطر، كما أن طبعة مصغرة للقرآن الكريم يتبادلها الناس باعتبارها تميمة تجلب الحظ وتعيد الشخص سالما إلى أهله وأحبابه. ويعتقد أهل الشرق في أن اللؤلؤ الأزرق يحمي من الحسد والشرور، سواء وضعوها علي أكتاف الأطفال أو وضعت في مقدمة وسائل النقل أو خيطت إلى السجاجيد. ويبدو الاعتقاد في كرامة شَعْر النبي ﷺ وخِرق ملابسه وهذا ما نجده شائعا عن البعض في اسطانبول وفي قندهار. ومنذ سنوات وقعت حادثة سرقة خصلات شعر أحد الأولياء في مدينة سرينجار، فأدي ذلك إلى اضطرابات وقلاقل ومصادمات عنيفة بين المسلمين والهندوس في كشمير. وهناك مواقع كثيرة تظهر فيها آثار أقدام الرسول ﷺ أو علي بن أبي طالب، وهي مزارات لها قداستها عند البعض، والملاحظ أن من يقيم تلك المزارات والمشاهد ويرعاها رجال من ذوي اليسار والنفوذ. ومن القواعد التي تنظم حياة المسلم تسمية المولود الجديد



تسمية لها صدى ديني، كما ينذر الآباء الولائم التي تسمى العقيقة. ويردد الأهل في آذان الرضع شهادة الإيمان، وخاصة ترديد اسم الرسول عدة مرات. ومن المعتقد أن من يحمل اسم محمد يدخل الجنة في الآخرة[٤٢]، ولئلا تنتهك قداسة اسم الرسول يردد الأهل مرادفات الاسم مثل أحمد أو مصطفى أو يتم نطقه بطريقة أخرى وكما يفعل الأتراك إذ ينطقونه : ممت Mehmet ، ومن المحبب أن يكون لحم الضأن أو الماعز هو لحم النذر في العقيقة.

ويحب الناس الأسماء المركبة من كلمة (عبد) ويكون الجزء الثاني اسم من أسماء الله الحسنى مثل عبد الرحمن أو عبد الله أو عبد الكريم أو عبد اللطيف أو عبد الغني. وقد تتسمى النساء بأسماء مثل (أمة)، فيقال أمة الودود على سبيل المثال. وقد شاعت التسمية بالدين في أسماء الأفراد في العصور الوسطى خاصة حيث اعتاد الناس إطلاق الأسماء مثل نصر الدين، أو نصير الدين أو فخر الدين، وكلها أسماء تربط الفرد برباط حميمي مع دينه، وقد يختار الأهل أسماء لمواليدهم من خلال اختيار أول كلمة أو حرف تقع عليه أعينهم عندما يفتحون القرآن الكريم. وعند الشيعة تشيع أسماء معينة تعبر عن محبتهم لآل النبي وآل علي، مثل حسن وحسين وعلي وجعفر، وبالرغم من أن كلمة (عبد) لا يصح

(٤٢) هذا ليس عقيدة دينية ولكنه من باب التبرك باسمه ﷺ .

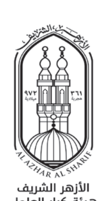


ربطها سوى باسم الله، إلا أننا نجد أسماء مثل عبد الرسول أو عبد النبي. وقد يختار الشيعة التسمية غلام: ومعناها خادم، جزءاً من الاسم فيقال غلام حسين أو غلام سيدين، أو بالتركية «علي كولي» Ali quli بمعني خادم علي. وتفضل النساء الأسماء مثل فاطمة تيمنًا بفاطمة ابنة الرسول ﷺ أو الاسم الزهراء، ويرفض الشيعة أسماء مثل (أبو بكر وعمر وعثمان) لأنها فيما يبدو تذكرهم بحق الخلافة الذي (يعتقدون أنه) كان لعلي بن أبي طالب ... وقد ترتبط التسميات التي يطلقها الأهل على أبنائهم بأسماء الأولياء كمثل أن يقال: (غلام عبد القادر جيلاني) أي أن الولي عبد القادر يرتبط بأسرة الوليد، فيصبح الطفل بذلك هو خادم الولي الأمين، وهنا تعتبر مثل تلك التسميات بمثابة البركة للطفل. ومن الملاحظ أن الأسماء التي يختارها الأهل لأبنائهم قد يشتقونها من أهل الحنكة السياسية، ومن المثير أن الأسماء ذات الوقع الديني عادت للظهور بقوة في بلاد إسلامية مثل مصر وإيران.



الفصل الثاني عشر

الإسلام في العصر الحديث



طرح المفكرون المسلمون منذ البداية عدة تساؤلات هامة حول مرونة الإسلام وملاءمته للظروف المتغيرة في العصور المختلفة، وكيف يمكن الحيلولة دون تغيير الشريعة الإسلامية. وبعد أن اجتاحت جيوش المغول الخلافة العباسية في بغداد وانتهى الحال إلى سقوطها في سنة ١٢٥٨ ميلادية، تغيرت الأشكال السياسية الإسلامية المألوفة حتى ذلك الوقت. وآنذاك تطورت المدرسة الحنبلية على يد المفكر ابن تيمية المتوفى في سنة ١٣٢٨ ميلادية الذي كرس جهوده من أجل الدفاع عن أسلوب الحياة الإسلامية ضد عوامل التغيير وقد رأى في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة أساسًا للحياة الإسلامية والاجتهاد الديني. وقد احتمل صعابًا كثيرة نتيجة لمواقفه الثابتة. وقد كان ابن تيمية هو المثال الذي احتذاه كثير ممن الإصلاحيين الذين سعوا من أجل تفسير جديد للقرآن الكريم وتأسيس التجديد في الحياة الإسلامية في القرن الثامن عشر. وقد نصب هؤلاء الإصلاحيون مهمة إصلاح الأحوال المعيشية والسياسية التي يعيش المسلمون في ظلها خاصة وأن تلك العصور شهدت استقرار الاستعمار الأوروبي في البلدان الإسلامية. وقد برز من بين هؤلاء الإمام محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية، وقد انتسبت إليه عدة حركات سلفية أسماها بعض الكتاب باسم الحركة الوهابية. وقد احتل أتباع محمد بن عبد الوهاب الذين تسموا باسم (الموحدين) الحجاز ومكة بالتعاون مع أسرة الأمير سعود في السنوات ١٨٠٣ حتى ١٨٠٦م. وقد انتعشت من



جديد مع نهاية الحرب العالمية الأولى. وعندما استقر الحكم لأسرة آل سعود في الجزيرة العربية، فقد انتشرت تلك الأفكار في سائر أنحاء الجزيرة العربية. وقد درس بعض الهنود في مكة في نفس الوقت وكان من أبرزهم شاه ولي الله (المتوفى في سنة ١٧٦٢)، وقد نشأ في أسرة متدينة في مدينة دلهي بالهند. وعندما عاد إلى وطنه حاول تقديم تفسير جديد للقرآن الكريم والسنة النبوية بحيث تتضح مرونة المعاني القرآنية مع ظروف العصر. وكانت المشكلة الرئيسية أمام المسلمين الهنود تكمن في فهم المعاني العربية للقرآن الكريم. وهكذا فقد نقل ولي الله معاني القرآن الكريم إلى الفارسية، وكان لغة المتعلمين الهنود آنذاك، وقد قام أبناؤه بنقل معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأردية بعد ذلك من أجل الغاية نفسها. وقد رفض ولي الله العقائدَ الشعبية المغلوطة عن الإسلام، وكتابه العمدة (حجة الله البالغة)، استطاع فيه الوقوف على أسباب ضعف الهنود من الناحية السياسية وتدهور أسس المعيشة. وبهذا بدأ أستاذه بدور جديد اعتبر بداية فعلية لمرحلة جديدة في تاريخ الإسلام في الهند. وقد قام معاصروه في نفس العصر بنشر مبادئ الصوفية في دلهي وخاصة الشاعر مير دارد الذي درس تعاليم الصوفية بين أتباع والده الذي أسس جماعة الطريقة المحمدية. وقد أصبحت تلك الجماعة بعد نصف قرن هي جماعة المحاربين الهنود من أجل الحرية والاستقلال عن الاستعمار الإنجليزي.

وقد أصبحت الطرق الصوفية هي الوسيلة التي تكفل





لأتباعها ممارسة الشعائر الدينية في منتصف القرن الثامن عشر ، وقد نشأت مثل تلك الطرق في الجزائر باسم الطريقة التيجانية ، والتي انتشر أتباعها في السودان ووسط العالم الإسلامي العربي ، والطريقة السنوسية التي تأسست في شمال ووسط أفريقيا . وبواسطة التيجانية انتشرت مبادئ الصوفية في البيئات الأفريقية المتحدثة بلغة الهوسا وفي السنغال ، ونشأ عنها جماعات صوفية بعد ذلك . وقد نادت تلك الجماعات بتأسيس مملكة سوكوتو تحت زعامة عثمان دان فوديو في حوالي سنة ١٨٠٢ . وقد قوي الإسلام في غرب أفريقيا بفضل تلك الجماعات ، وإن كان انتشار الإسلام في غرب أفريقيا قد استغرق زمنا طويلا منذ القرن الثاني عشر .

وقد ظهرت القوى الغربية على الساحة السياسية العالمية منذ القرن الثامن عشر ، وخاصة في الهند وسمح المستعمرون الإنجليز بمنح المدارس الدينية بعض الدعم المالي والذي تمثل في أراض زراعية هي في حقيقتها أوقاف إسلامية . وقد أعلن ابن شاه ولي الله أن الهند الإنجليزية تعتبر دار حرب . وقد غير الإنجليز اللغة الرسمية من الفارسية إلى الإنجليزية في سنة ١٨٣٥ . وقد امتنع غالبية المسلمين من إرسال أبنائهم إلى مدارس التبشير الإنجليزية ، ولذا فقد عانى الهنود من الافتقار إلى التجديد وروح العصر ، وحُرموا الحصول على وظائف في الحياة المدنية . بينما استغل السيخ والهندوس الفرصة جيدا ووثقوا علاقاتهم مع المستعمرين ، وقد تعلم أبناؤهم في المدارس الإنجليزية التي أسسها الإرساليون (المبشرون



بالمسيحية في الهند) . وكان من آثار الاستعمار ونشر التعليم الأجنبي في الهند والفلبين وغيرها ، أن نشأت طبقة من السكان المحليين عرفت باسم طبقة الصفوة ، بينما ظهر المسلمون بمظهر المحرضين على الثورة ضد الاستعمار .

وقد ابتليت مصر بحملة نابليون العسكرية في سنة ١٧٩٨ . وبالرغم من أن تلك الحملة أثارت نهضة معرفية وعلمية في مصر [٤٣] وصارت اللغة الفرنسية متاحة لبعض الشباب المصري . إلا أن السياسة الاقتصادية والمالية الفاشلة للبلاد في القرن التاسع عشر أدت إلى تدهور أحوال البلاد ، وتدخل القوات البريطانية فيها في حوالي سنة ١٨٨٢ . ومن ثم صار اللورد كرومر المفوض السامي البريطاني هو المسئول عن شئون البلاد ، وصار منصب الوالي العثماني منصبا من المناصب الشرفية إلى جانبه . وقد عمت الفوضى في سوريا ، وتم تقسيم الأراضي اللبنانية إلى مقاطعات بحسب الانتماء الديني في سنة ١٨٢١ وما زالت آثار هذا التقسيم واضحة للعيان حتى اليوم . وقد ظفر الفرنسيون بمناطق جديدة في المغرب ، وكرس الإيطاليون جهودهم من أجل القضاء على الحركة السنوسية في ليبيا . وقد عانت السلطنة العثمانية من التوسع الإنجليزي على حسابها ، وهذا ما دعا السلطان العثماني إلى الاستعانة بالألمان . وقد ساءت الأحوال في إيران أيضا إذ اجتاحتها القوات الروسية في سنة

---

(٤٣) هذا ربط خاطئ ؛ فالنهضة في مصر بدأت مع محمد علي باشا (المراجع) .



١٨٢٧ من المناطق الشمالية الغربية واحتلت أردبيل وكانت من مقدسات الأسرة الصفوية.

وقد كان من الطبيعي أن تنشط الحركات الإصلاحية بين المسلمين في ظل أوضاع سياسية كهذه مع تردي الأوضاع الاقتصادية في العالم الإسلامي لحساب المستعمرين الأجانب. وهنا ينبغي لنا أن نتحدث عن الحركات الإسلامية في المقام الأول، وهي الجماعات التي تسمى بالجماعات السلفية التي رأت أن الاعتماد على فكر السلف الصالح من أئمة المسلمين هو المنهج السديد من أجل مواجهة الاستعمار الغربي. وقد وجدت تلك الحركات ضالتها في فكر أحمد بن تيمية، وسعت من أجل تفسير جديد للإسلام على أساس القرآن الكريم والسنة النبوية وسنة السلف. وبرز من بين صفوف السلفيين السيد جمال الدين الأفغاني (المتوفى في سنة ١٨٩٧)، وقد كان ملهما لكثير من تيارات التحرر الوطني وعلى رأسهم الإمام محمد عبده (المتوفى في سنة ١٩٠٥) وتلميذه محمد رشيد رضا (المتوفى في سنة ١٩٣٥) في مصر[٤٤]. وقد دعا محمد

---

(٤٤) انظر عن رؤية الإمام محمد عبده ومنهجه الإصلاحي من أجل النهضة في مصر كتاب :

Muhammed Abduh; Eine Untersuchung seiner Erziehungsmethode zum und zur nationalen Erhebung in Muhammed El-Bahay, Hamburg 1936

وانظر ترجمتنا العربية للكتاب نفسه بعنوان «الإمام محمد عبده دراسة لمنهجه التربوي من أجل الوعي الوطني ونهضة الأمة، تأليف: د. محمد محمد البهي، سلسلة دراسات إسلامية العدد ٤٨، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٩٩م (المترجم).





عبده إلى ضرورة فتح باب الاجتهاد الديني بعد انتهاء عصر الأئمة في العصور الوسطى. وقد كانت مجلة المنار في القاهرة هي المنبر الذي عَبَّر الإصلاحيون والمجددون من خلاله عن آرائهم خاصة، ومنذ ذلك الوقت عُرفوا باسم جماعة المنار. وقد كانت رسالتهم ترى أن الإسلام يتفق مع العصر والتجديد الحضاري، وقد عملوا على تأسيس رسالتهم من خلال تفسير القرآن الكريم تفسيرا جديدا يؤكد على ذلك.

ولم تكن مصر هي المقر الوحيد لتلك الرؤى الجديدة، بل انتشرت في بلدان إسلامية كثيرة وتنوعت مناهجها وبلغت غاياتها في التأكيد على أن القرآن الكريم يتناول حقائق كونية، وبخاصة حقائق العلم والتقنية مثل انشطار الذرة وغير ذلك. وقد وجدت تلك الأفكار التجديدية تربة صالحة لها في الهند. ونتيجة نشاط البعثات التبشيرية في الهند فقد حاول الإصلاحيون التأكيد على أن الإسلام لا يدعو إلى التمسك بالماضي، بل يدعو للنظر إلى المستقبل دائما فهو ديانة عالمية تصلح للبشرية كلها. وقد كان سيد أحمد خان (المتوفى في سنة ١٨٩٨) هو أبرز دعاة الإصلاح والتجديد، بالرغم من أن جمال الدين الأفغاني قد رفض منهجه، واتهمه كثيرون بأنه محايد. وتبلور نجاحه في تأسيس المدرسة الإنجليزية الإسلامية في سنة ١٨٧٥ في عليكرة، وقد تحولت بعد ذلك إلى جامعة ومركز للفكر التجديدي. وقد عارض سيد أحمد خان مشاركة المسلمين في تأسيس البرلمان الوطني الهندي في سنة ١٨٨٥، لأنه خشي أن تتحول الكتلة الإسلامية إلى



أقليـة في البرلمان. وقد نشـأت حركة أخرى عرفت بالسـلفية الصوفيـة عارضت المدرسـة الإنجليزية الإسـلامية ودعت إلى عدم تقسـيم شـبه القارة الهندية بين المسـلمين والهندوس. وقـد خلَّـف سـيد أحمد خـان مجموعة كبيـرة مـن المؤلفات باللغـة الأردية. وقد انتشـرت أفكار تدعو إلى تأسـيس مدارس شـبيهة بمدرسـته في البنغال والسـند وحيدر أبـاد. وقد كتب سـيد أمير علي في سنة ١٨٩٧ كتابا باسم The Spirt of Islam ، وهـو كتاب يشـرح روح الحضارة الإسـلامية، وقـد أكد فيه المؤلـف أن الإسـلام لا يدعو فقط إلى التقـدم الحضاري بل إنه في الحقيقة دين تقدمي بالنسـبة إلى تاريخ الإنسـانية. وعندما تأسسـت حركـة الجامعة الإسـلامية في سـنة ١٩٠٦ صار من الميسـور تمثيل شئون العالم الإسـلامي في المحافل الدولية، إلا أن تلـك الجامعـة فقـدت تأثيرها الدولي شـيئا فشـيئا بعد الحـرب العالميـة الأولى. وبالرغم من مسـاندة الزعيم غاندي لحركة الهنود المسـلمين التي دعـت إلى تبني نموذج الخلافة العثمانيـة باعتبارها الرئاسـة الروحية للمسـلمين فـي الهند، إلا أنهـا قد تفتتـت عندما أعلن مصطفى كمـال أتاتورك انتهاء الخلافـة العثمانية في تركيا رسـميا في الثالث من مارس سـنة ١٩٢٤. ومنـذ ذلـك الوقت ما زال التسـاؤل التالي مطروحا: من يكون الممثل الشـرعي التالي للخليفة بالنسبة للمسلمين الأتـراك؟. وقـد لعب هذا التسـاؤل دورا هاما فـي مواجهة تيار العلمانيـة الذي مثلـه محمد إقبـال (١٨٧٧ - ١٩٣٨) الذي اعتبر الجمعية التأسيسـة التركية هي الممثل الشرعي للسلطة



فـي تركيـا. هل يمكننـا اعتبـار أن منظمة المؤتمر الإسـلامي تعتبر الممثل الشـرعي لكل المسـلمين!. ومنـذ ذلك الوقت طرح أيضا التسـاؤل: مـا هي مقومات الدولة الإسـلامية؟ وهو سـؤال مـا زال في حاجة إلـى إجابة مقنعة. ومع زوال السـلطنة العثمانية طرحت تساؤلات عديدة عن تداخل الأهداف الوطنية مع المصالح الإسلامية عامة، وهل ينبغي لتلك الدولة الإسلامية المقترحة أن تكون دولة دينية أم دولة ديمقراطية؟. وقد استند دعـاة الديمقراطية علي مبدأ الإسـلام الداعي إلى الشـورى بين المسـلمين كما في قولـه تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (الشورى: ٣٨). وقد ثبت في الأذهان أن الآية الكريمة هي دليل على ضرورة بناء الدولة ذات النظام الديمقراطي.

وقد ظهرت حركة إسلامية في الهند وهي الحركة الأحمدية والتي لا بد لنا من الحديث عنها في عجالة. نشأت تلك الحركة بجهود المفكر ميرزا غلام أحمد المتوفى في سنة ١٩٠٨، وقد اعتبره أتباعه بمثابة المهدي المنتظر أو المسيح الموعود، وقد عارض المسلمون المحافظون تلك الأفكار لأنها تخالف حقيقة البعثة المحمدية. وقد اندلعت العديد من الاضطرابات بسبب الفرقة الأحمدية في باكسـتان في سـنة ١٩٥٣. إلا أن السـبب في ذلك يرجع إلى أسـباب سياسـية في المقام الأول. وفي سنة ١٩٧٤ اعتبرت تلك الفرقة خارجة عن الإسلام.

وكان محمد إقبال وهو المفكر الإصلاحي، بمثابة المعارض الوحيـد الـذي يمثل خطرا كبيـرا على الفرقـة الأحمدية. وقد






عاش محمد إقبال ودرس الفلسفة في إنجلترا وميونيخ على عكس غالبية الإصلاحيين الذين لم يدرسوا اللغات والثقافات الأوروبية، وقد نال درجة الدكتوراه عن دراسة تطور الفكر الفارسي الصوفي علاوة على دراسته بفكر هيجل وبرجستون وجوته ونيتشه وأينشتاين وغيرهم. وقد كان الهدف الأكبر الذي سعى إليه إقبال هو ربط تلك الفلسفات والأفكار الغربية بمبادئ وتعاليم الإسلام. وقد أدرك أن أسس الإسلام التي تتمثل في ديناميته تتعارض مع الأفكار الهللينية الكلاسيكية. وقد رأى في الإسلام رسالة تدعو إلى التقدم وغايتها الرقي الإنساني، فالإنسان هو خليفة الله في أرضه. والإسلام يحل الصراع المستمر مع قوى الشر لكي يسعى الإنسان نحو الكمال الخلقي والعقلي. ورأى إقبال في تصور نيتشه عن الحرية التي تسمو فوق الحرية الإنسانية أنه يتمثل بوضوح في المبدأ الإسلامي الذي يجعل الإنسان عبدا لله وحده. وهنا تتمثل الحرية في أقصى درجاتها وهذا ما نلمسه من نموذج الرسول الكريم فهو عبد الله، وقد بلغ أقصى ما يمكن لنبي أن يصل إليه من الكرامة والمعرفة الكونية والسماوية.

ويرى إقبال أن الإسلام هو الأساس النموذجي لبناء الدولة وتشكيل سياستها، لأن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يحمي الأخوة الإنسانية للمؤمنين وهو حصن التوحيد الأوحد. وقد عبر إقبال عن آرائه السابقة ضمن مجموعة محاضرات ألقاها في الجامعات الهندية عن إعادة تكوين الفكر الإسلامي في سنة ١٩٢٨ وهي محاضرات شرحها فلسفيًا. وقد تبلورت آراؤه



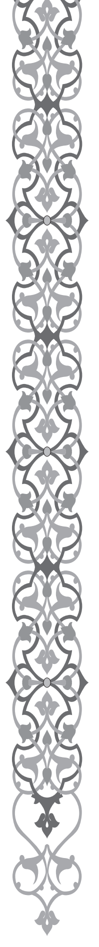
أيضا في مجموعة من المؤلفات الشعرية بالأردية والفارسية. ورؤيته المعروفة باسم (رسالة الشرق) هي في حقيقتها إجابة على الديوان الغربي الشرقي لجوته.

ويعتبر الإمام مولانا جلال الدين الرومي هو الملهم الروحي الأكبر لإقبال. ونستشعر في مؤلفات إقبال ذلك العشق الإلهي اللامتناهي الذي يصل بالإنسان إلى أقصى رقي ممكن وهذا الموروث صدى لما نألفه عند الرومي. وقد صارت أفكار إقبال الشعرية والفلسفية من أهم أسس بناء دولة باكستان، ولهذا يعتبر إقبال الأب الروحي لباكستان.

وقد أثرت الحرب العالمية الثانية على شكل العالم الإسلامي. بحيث تشكلت دول جديدة على خريطة العالم هي ليبيا وباكستان وأندونيسيا، وأصبح للعالم الإسلامي العربي دور مؤثر في صنع السياسة العالمية. إلا أن تشكيل دولة إسرائيل في المنطقة العربية يمثل إشكالية كبيرة للعالم العربي، ومن هنا تنوعت سياسات الدول الإسلامية. وقد ظهرت عدة تنوعات في العالم الإسلامي، فنحن نرى من ناحية أن القذافي في ليبيا، والمسلمين في آسيا الوسطى، والثقافة الإسلامية في الصين تمثل تنوعات تشكلت في غضون القرن الماضي. ومن ناحية أخري نرى الحركة الدينية في السعودية وانتشارها الواسع في العالم والدور المؤثر الذي تلعبه في صياغة التصور العقائدي للمسلمين من خلال مؤسسات مثل (مؤسسة الرابطة) والتمويل السخي الذي تقدمه. وكذلك نرى أن







الإسلام الذي انتشر في تركيا العلمانية بتأثير من الطرق الصوفية التي انتشرت بدورها في آسيا الوسطى بفضل التجار المسلمين، وكذلك انتشر الإسلام في أندونسيا، كل تلك التنوعات يبدو أنها تتعارض مع التصورات الدينية في اعتقادات المسلمين في أفريقيا السوداء، وتمثل تركيا الإسلامية حالة متفردة تستوجب البحث. فقد دعا المفكر الاجتماعي ضيا جوكالب (١٨٧٦- ١٩٢٤) إلى الانتماء إلى الغرب والأسلمة والقومية التركية، وهكذا هدفت إصلاحات كمال أتاتورك إلى الفصل بين حاضر تركيا وتاريخها الإسلامي الغابر، ولم يكن هذا الانفصال مقصورا على أمور الشريعة الإسلامية فحسب بل تعداه إلى استبدال الخط اللاتيني بالعربية التي يكتب بها الخط العثماني، وقد اعتاد الأتراك منذ قرون الشكل العثماني الذي عبر عن انتماء اللغة التركية إلى المحيط الإسلامي الشرقي. وفي إطار تجربة تأسيس كلية للدراسات الدينية في سنة ١٩٤٩ تم وضع مناهج أخرى للدراسة كمقررات إضافية مثل علم الاجتماع وتاريخ الأديان إلى جانب تدريس الدعوة والفقه وهي بمثابة حركة تجديدية بالنظر إلى العلوم الدينية التقليدية، وقد كانت تلك البدايات مبشرة بالخير. وهذا الإطار التعليمي لا نجده في دول أخرى. ففي باكستان ومنذ السنوات العشر الأخيرة ازداد عدد المدارس الدينية، إلى جانب المدارس ذات الطابع الليبرالي. ونجد التصوف والتيارات المحافظة تعيش جنبا إلى جنب، وبالرغم من هذا نجد الأمر مختلف في الهند العلمانية، حيث تعيش أقلية مسلمة تبلغ ١٠٠مليون نسمة،



فقد لاحظنا ميلا قويا نحو التصوف ربما وجدت فيه الأقلية المسلمة ما يهدئ من مخاوفها تجاه الأغلبية الهندوسية إلا أن الحالة في مصر في تغير وديناميه مستمرة، حيث نلحظ ميلا متناميا تجاه الالتزام الديني.

أما الطفرة التي حدثت في إيران حيث تحول نظام الدولة من السعي حثيثا نحو الغرب في ظل الأسرة الصفوية إلى نظام الجمهورية الإسلامية ذات الطابع الشيعي، فقد أدهشت المراقبين الدوليين. ونحن نلاحظ أن الغالبية العظمى في البلاد الإسلامية تقف من التحديث موقفا متشككا حتى اليوم. ونستطيع فهم الأساس النظري لإيران الحديثة من خلال كتابات علي شريعتي، الذي استوعب بعضا من أفكار إقبال وشكلها تشكيلا جديدا، بالرغم من أن أفكار إقبال يرفضها الوهابيون في المحيط العربي الخليجي. ومن هنا نستطيع فهم تنامي التيارات الأصولية المحافظة، فمن ناحية لا ترى الغالبية دلالة للمثل الضائعة، ولذا فهي تتوجه نحو استشراف الماضي السعيد في عصر الرسول ﷺ كما أن الأفكار الليبرالية لم تأخذ حظها من النضج أو الوضوح الكافي، حتى صار الفرد على يقين من أن الليبرالية أو الاشتراكية لا تصلحان لحل المشكلات التي يعيشها العالم الإسلامي. وهكذا يبقى الحل الأمثل ماثلا للعيان في الماضي الإسلامي الزاهر الذي يوفر حماية ويقدم الحل والخلاص. ولا ننسى هنا أن اصطلاحا مثل العلمانية لم يجد له شرحا كافيا ما زال يُفسَّر بمعنى الابتعاد عن الدين، وهكذا صار معنى العلماني هو الشخص اللا ديني، ومن هنا اكتسب المصطلح دلالة سلبية ومن الجدير بالذكر




أن دعاة الحداثة قد نادوا بارتباط الإسلام مع التجديد وصوروا الرسول ﷺ اشتراكيا تارة وماركسيا تارة أخرى(٤٥).

وأهم المشكلات التى تواجه الحركات المحافظة هو وضع المرأة. فما زال التساؤل التالي مطروحا: هل ينبغي إبقاء المرأة بعيدا عن الحياة العامة؟ وتحاول كثير من السياسيات والأستاذات في الجامعات في البلاد الإسلامية وفى باكستان تبصير المرأة بحقوقها الشرعية والمدنية في المجتمع، وقد حلت السعودية تلك المشكلة بحيث أصبحت المرأة هي المخولة فقط للعمل في كليات البنات.

وقد أثيرت مسألة البنوك الإسلامية في السنوات الأخيرة ودارت مناقشات عديدة حول الموضوع، خاصة وأن القرآن الكريم يحرم التعامل الربوي، وقد تباينت الرؤى والتفسيرات حول إمكانية التعامل المالى خاصة مع المؤسسات العالمية. ويجدر بنا الحديث عن تزايد أعداد النساء المسلمات اللائى يدرسن في الجامعات الأوروبية، ومنهم رئيسة وزراء باكستان السابقة (بينظير بوتو) ونحن لا حظنا ميلا من النساء اللاتى دخلن حديثا في الإسلام نحو المحافظة والتمسك بسنة السلف. وأثناء اغتراب المسلمين يرى البعض أن التمسك بالدين هو من مقومات الحفاظ على الهوية الذاتية والثقافية في مقابل الآخر. وتتزايد أعداد المهاجرين من البلدان الإسلامية نحو الغرب.

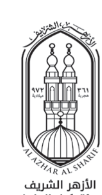
---

(٤٥) وهذا ما جعل مفكري الإسلام يرفضون ربط الإسلام بهذه المذاهب لأن العدالة الاجتماعية التي نادى بها الإسلام كانت قبل أن تظهر هذه المذاهب والاتجاهات.



ونلاحـظ ظاهرة فـي العمالـة التركية المتزايدة فـي ألمانيا أو المهاجرين من باكسـتان والهند باسـتمرار صوب إنجلترا، وهكـذا تزيد معـدلات الهجرة مـن حجم المشـكلة، وتتزايد معدلات بناء المسـاجد أو أماكن الصلاة في أوروبا باسـتمرار، ففى لندن وحدها بلغ عدد المساجد حوالى ٨٠٠ مسجد. وهنا تبدو مشكلة أخرى وهى كيفية تدريس الدين للطلبة الأتراك في المانيا وللأفارقة في فرنسا وذوى الأصول الهندية والباكستانية فـي إنجلترا، وضـرورة أن يكون المدرس علـى درجة كافية من الثقافة والمعرفة للتاريخ الإسـلامى، علاوة على شـرح التراث الثقافـى للصغار لكـى يرتبطوا ببلدانهم الأصليـة وجدانيا، ثم يلى ذلك في الأهمية شـرح مسـائل مثل كيفية الذبح الشرعى وغير ذلك.

وتعتبـر جماعـة المسـلمين السـود فـي أمريكا مـن أكثر الجماعـات الإسـلامية هنـاك نشـاطا وتنظيمـا. وتهدف تلك الجماعات في المقام الأول للوصول إلى توزان مع الإسـلام في عصـوره الأولى. ومن المثير حقا أن تلك الجماعات ناجحة في علاج المشـكلات الاجتماعية والسـلوكية أكثر من السلطات التنفيذية المحلية، ففى مدن مثل واشـنطون وهيوستن نجحت تلك الجماعات في حل مشـكلات مثل إدمـان المخدرات بين المسـجونين ولا تتحدث تلك الجماعـات كثيرا عن التصوف والزهـد، بل تتبنى لغة واحدة تعتمد على شـرح محتوى القرآن الكريم وتوضيح بنود الشـرع، وعلى النقيض تماما نجد هناك نشـاطا آخـر تمثله الروابـط الصوفية. ففى السـنوات الأخيرة

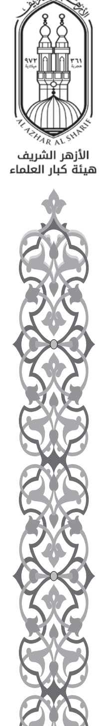


قامت تلك الروابط بنشاط كبير ونجاح في استقطاب الراغبين في دخول الإسلام سواء في الولايات المتحدة الأمريكية أو في أوروبا، ومن الروابط الصوفية الأخرى الناجحة طريقة (الدرقاوية) وتعود بأصولها إلى شمال أفريقيا وهى إحدى فروع الطريقة الشاذلية. فقد نجحت تلك الطريقة في استيعاب أعداد كبيرة من الأوروبيين والأمريكيين بين صفوفها. وقد لاحظنا ازديادا في تأسيس مراكز الاجتماع وهى «الخانقاه» التى تنسب إلى نعمة الله الفارسى سواء في أوروبا أو في أمريكا. وتمارس بعض تلك المراكز نشاطات النشر والطباعة والتى تقوم بدور شرح الصوفية من أجل مزيد من الأتباع والأعضاء. ولا ننسى أن عدداً كبيراً من المسلمين يدرسون في الجامعات الأمريكية. إلا أن مشكلات مثل العلاقة بين الأقليات المسلمة والأغلبية من السكان تظهر دائما على السطح، ومن هنا يرى البعض أن الإكثار من أعداد المسلمين قد يعين على حل تلك المشاكل، وكأن الإسلام يدعو إلى الإكثار من نسبة الإنجاب بدون ضوابط ![٤٦]. ونحن نرى أن العالم الإسلامى يمر بمراحل جديدة ولا يمكننا التنبؤ بالدور المستقبلى الذي سيلعبه العالم الإسلامى على المستوى العالمى. وهنا نقتبس -على عادة دعاة الإصلاح قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ



(٤٦) الإسلام قد وضع ضوابط كثيرة لتنظيم النسل منها تحديد فترة الحمل والرضاعة بأكثر من ثلاثين شهرا. كما نبه رب الأسرة بأن يعمل على أن يكون أبناؤه من بعده أغنياء.. وهذا ما ينظم النسل تلقائيا وهو من أهم الضوابط.





حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ (الرعد: ١١)

وغايتنا أن يكثر في الإسلام الإصلاحيون أمثال محمد إقبال فهم قادة النهضة. أما كيف يغير الله الإنسان؟ فنراه عندما يثق الإنسان في قضاء الله كما نفهم من القرآن الكريم، بحيث تتلاقى أعمال الإنسان مع المشيئة الإلهية، ويكون الإنسان على استعداد دائم لتقبل ما لا يدركه من القضاء الإلهى مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (الحشر: ٢٣، ٢٤)

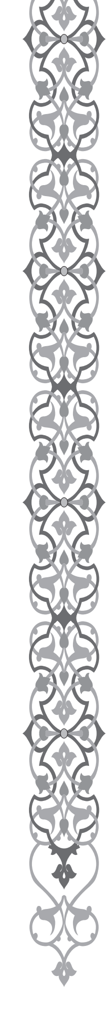
* * *





المراجـــع

أولا: تراجم معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأوروبية:



1 ـ كتب آربري عن القرآن الكريم مفسرا :

Arberry, Arthur, J.: The Koran interpreted, 2vol, London York 1955

2ـ كتب بل مقدمة عن القرآن الكريم :

Bell s Ineroduction to the Qur an. completely revised and enlarged by W. Montgomery Watt. Edinburgh 1970

3ـ كتب محمد حميد الله، ملاحظات عن القرآن الكريم والرسول :

Le Coran. Traduction integrale et notes du Muhammad Hamidullah, Paris 1959

4ـ كتب Regis Blachere عن الموضوع نفسه في ثلاثة مجلدات :

Le Coran. Traduction novelle par Regis Blachere Regis Blachere, 3 vols, Paris 1947 – 51

5ـ ترجم ماكس هننيج معاني القرآن وكتبت آنا ماري شيمل مقدمة للترجمة :

Der Koran. Uebersetzet von Max Henning, Eil und Annemarie Schimmel, Reclaams Universal- Bibliothek(6),Stuttgart 1960

6ـ ترجم رودي باريت معاني القرآن وفسرها :

Der Koran. Uebersetzet von Rudi Paret, erstere Band: Uebersetzung, Stuttgart 1962. zweite Band: Kommentar und Konkordanz, Stuttgart 1971

7ـ ترجم روكر معاني القرآن :





Der Koran. Uebersetzet von Friedrich Ruekert, Berlin 1888 reprint Hildesheim 1980



8ـ ترجم تيلمان ناجل معاني القرآن:

Nagel, Tilman.: Der Koran. Einfuehrueng, Texte, Erlaeuterungen, Muenchen 1989

9ـ كتب بيكتال عن معاني القرآن:

Picktall, Marmaduke.: The Meaning of the Glorious Koran. New York 1953

10ـ كتب يوسف علي عن القرآن:

Yusuf Ali, A.: The Holy Quran. New edition, Lahore 1977

ثانيا: المراجع عن تاريخ الإسلام:

11ـ كتب سيد أمير علي عن الإسلام:

Ali, Syed Ameer.: The Spirt of Islam. London 1922

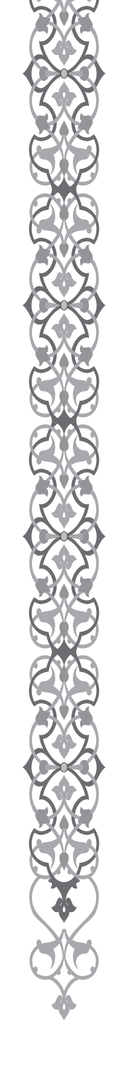
12ـ كتب تور آندريا عن الرسول:

Andrea, Tor.: Muhammad. Goettingen 1932 ; Muhammads in glaube und lehre seiner Gemeinde, Stockholm 1918

13ـ كتب آربري عن الحضارة الإسلامية ونشر دراسة عن الدين في الشرق الأوسط:

Arberry, Arthur.: Aspects of Islamic Civilisation. Annarbor 1967 (Editor).: Religion in the Middle East. 2 vols Cambridge 1969





14ـ كتب آرنولد توماس عن الإسلام:

Arnold, Sir Thomas.: The Preaching of Islam. London 1898

15ـ كتب بوساني عن أديات الفرس:

Bausani, Alessandro.: Persia Religiosa. Mailand

16ـ نشر بسك دراستين عن الإسلام والغزالي:

Bousquet, Georges- Henri (editor).: al- Ghazali. Ihya ouloum ed- din ou Vivification des Sciences de la foi, paris 1955 Les grandes pratiques rituelles de I'islam, paris 1949

17ـ كتب بُل عن حياة الرسول:

Buhl, Frants P. W.: Das Leben Muhammeds. Heidelberg 1955

18ـ كتب كالفرلي عن الإسلام:

Calvrley, Edwin Elliott.: Worship in Islam, London 1947

19ـ كتب وليم عن التصوف:

Chittick, William.: The Sufi path of Knowledge: Ibn Arabi, Albany 1989

20ـ كتب هنري كوربان عن التصوف:

Corbin, Henry.: L'homme de lumiere dans le soufisme iranien, Paris 1971

21ـ كتب كراج عن الأذان في الإسلام:

Cragg, Kenneth.: The Call of the Minaret, New York 1956

22ـ كتب دونالدسن عن الشيعة:

Donaldson, Dwight M.: the Shiite Religion, London 1933







23ـ كتب إيتون عن الإسلام:

Eaton, Richard Legai.: Islam, Koeln 1987

24ـ نشر إنده فرنر وأودو شتاينباخ عن الإسلام في العصر الحاضر:

Ende Werner/ Udo Steinbach (editors).: Der Islam in der Gegenwart, 2 wdition, Muenchen 1989

25ـ كتب إيتنجهاوزن عن الفن الإسلامي:

Ettinghausen, Richard.: Islamic Art and Archaeology, Berlin 1989

26ـ كتب يوهان فريدمان عن فرقة الأحمدية:

Friedmann, Yohanan.: Prophecy continuous. Aspects of Ahmadi religious thought and its medieval background, Berkeley 1989

27ـ كتب لويس جارديه والأب قنواتي الدومينكاني عن علم الكلام:

Gardet, Louis et Anawati, C. G.: Introduction a la theologie muslmane, Paris 1948

28ـ كتب جودفروي عن الحج:

Gaudefroy- Demombynes, Jean.: La pelerinage a la Mekke, Paris 1923

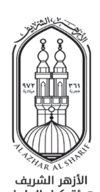
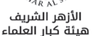
29ـ كتب جيرتس عن الإسلام:

Geertz, Clifford.: Islam Observed, New Haven 1968

30ـ نشر جرهولم وليتمان عن الإسلام في أوروبا المعاصرة:

Gerholm, Tomas & Lithman, Yngve Georg.: The New Islamic Presence in Western Europe, London 1988





31ـ كتب سير هاملون جب عن الإِسلام:

Gibb, Sir Hamilton A. R.: Mohammedanism, London 1953

32ـ كتب جولدتسيهر مجموعة دراسات عن الإِسلام:

Goldziher, Ignaz.: Muhammedanische Studien, Halle 1889- 99 (reprint Hildeheim 1961)

33ـ كتب جراملش كتابين عن الشيعة:

Gramlich, Richard.: Die Schiitischen Derwischorden Persiens, 3 vols, Wiesbaden 1965- 80

Die Wunder der Freunde Gottes, Stuttgart 1987:

34ـ كتب جوستاف فون جرونباوم عن الإِسلام في العصر الوسيط:

Grunebaum, Gustav E. von: Islam im Mittelalter, Zuerich 1962

35ـ نشر هارمان عن تاريخ العالم العربي كتابا في ثلاثة أجزاء:

Haarmann, Ulrich.: Geschichte der arabischen Welt, Muenchen 1987

36ـ كتب هاينز هالم عن الشيعة والعرفان في الإِسلام:

Halm, Heinz.: Die islamische Gnosis, Muenchen 1982

Die Schia, Darmstadt 1988:

37ـ كتب حميد الله عن رسول الإِسلام:

Hamidullah, Muhammad.: Le Prophete de l'islam, 2 vols, Paris 1959

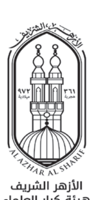
38ـ كتب هارتمان ريتشارد عن الإِسلام:

Hartmann, Richard.: Die Religion des I'slam, Betlin 1944

39ـ كتب مارشال هدسن عن الإِسلام:

Hadgson, Marsharll.: The Venture of Islam, 3 vols, Chicago 1975 .





الفهرس





الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع

الفصل العاشر

الفصل الحادي عشر

الفصل الثاني عشر

